أسباب عدم السماع عند المحدثين مع إمكانه وتحقق أسبابه

د. ياسر بن عبد الله السلمان

الأستاذ المشارك في قسم السنة وعلومها، كلية الشريعة، جامعة القصيم

yaser5447@hotmail.com

ملخص البحث:

يستعرض هذا البحث الأسباب التي تحول دون السماع بين راويين تعاصرا، وأمكن تلاقيهما، بل في بعضها أنهما تلاقيا واجتمعا، ومع ذلك لم يسمع أحدهما من الآخر، فيخرج بهذا مالم يمكن الاجتماع مكانًا؛ كأن يكون أحدهما في بلد والآخر في بلد، ولا تعرف لكل واحد منهما رحلة إلى بلد الآخر، ويخرج أيضًا ما أمكن الاجتماع مكانًا، لكن لم يمكن السماع زمانًا، كما لو روى الولد عن أبيه، وكان الولد دون التمييز حين وفاة والده، وهذه الأسباب التي هي موضوع البحث؛ منها ما يرجع إلى طبيعة الرواية، ومنها ما يرجع إلى طبيعة الشيخ وطريقته في أداء حديثه للطلاب، ومنها ما يرجع إلى طبيعة التلميذ وكيفية تحمله الحديث عن شيوخه، ومنها ما يتعلق بوقت السماع والإسماع وظرفه، ومنها الأمور والأحوال السياسية، والاجتماعية، والشخصية، وحين النظر في هذه الأسباب يتفهم القارئ سبب تشديد النقاد في تتبع السماعات، وكونه عند الأكثر شرطًا في قبول الحديث وإن أمكن السماع.

الكلمات المفتاحية: أسباب عدم السماع – الاتصال والانقطاع –شرط البخاري

Reasons for Not Hearing from the Narrators Despite the Possibility and Verification of Its Causes

Dr. Yasser bin Abdullah Al-Salman
Associate Professor in the Department of Hadith and Its Sciences,
College of Sharia - Qassim University
yaser5447@hotmail.com

Abstract of Research:

This research introduces the reasons that prevent hearing between two contemporaneous narrators, and the possibility of their meeting, and in some of them they even met and gathered, and yet one of them did not hear from the other, so this concludes, unless the meeting is possible in a place; such as if one of them is in one country and the other is in another country, and the journey of each of them to the other's country is not known. It also applies if it is possible to meet but it is not possible to hear for a period of time, as if the son narrated on the authority of his father, and the son was without discernment when his father died, and these are the reasons that are research topic; some of them are due to the nature of the narration, some of them are due to the nature of the sheikh and his path of offering his speech to the students, some of them are due to the nature of the student and how he tolerates talking about his sheikhs, some of them are related to the time and circumstance of listening and listening, and some of them are related to political, social, and psychological matters and conditions, and when looking. In these reasons, the reader understands why critics are so strict in tracking the speakers, and that he is at the most important condition for accepting a hadith is listening, even if it is possible to listen.

Keywords: Reasons for not hearing - connection and disconnection - Al-Bukhari's condition

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان هديه خير الهدي وأحسنه حرص الصحابة والتابعون لهم بإحسان على تتبع هديه وسيرته قولًا وعملًا وتقريرًا، فنقلوا ذلك للأمة وقاموا بهذا التكليف، وفازوا بهذا التشريف؛ فنقل السنة أمانة وديانة كما أنه شرف ومكانة، يرتبط فيها المحدث بهذه السلسلة التي نهايتها الدر والياقوت، ووضعوا لهذه المهمة ضوابطًا وشروطًا، ومن الشروط التي وضعها النقاد لصحة الإسناد : اتصاله وعدم انقطاعه؛ خشية أن يكون الساقط ممن لا يقبل حديثه أو لا يصح تفرده، وقد ذكر النقاد أن الانقطاع منه ما هو جلي، ومنه ما هو خفي، ويتفاوت ذلك الجلاء والخفاء نسبيًا، فالظاهر الواضح يُعرف بعدم المعاصرة فيحدث الراوي عن شيخ مات قبل أن يولد بسنيات، ويزداد وضوحًا حين يحدث عن شيخ مات قبل أن يولد بسنوات .

والخفي أن يحدث عن شيخ عاصره لكن لم يلتق به، ويزداد خفاء حين يحدث عن شيخ لقيه وجالسه لكن لم يسمع منه، ويزداد خفاء حين يكون لقيه وسمع منه إلا أنه لم يسمع منه شيئًا من الحديث ، ويزداد أكثر عندما يسمع منه أحاديث ودلّس غيرها .

وإن الطالب المبتدئ في هذا الفن يستغرب بل يستبعد أحيانًا عدم السماع بين راويين عاشا في مدينة واحدة وربما لسنوات، ومع ذلك يرى النقاد ينصون على عدم السماع بينهما، وربما استغرب البعض تدقيق النقاد في تتبع السماعات في مثل هذه الأحوال؛ وقد قال رجل لأبي إسحاق السبيعي:" إن شعبة يزعم أنك رأيت علقمة ولم تسمع منه ؟ قال صدق[(١)]"

فأحببت في هذا البحث أن استعرض الأسباب التي تحول دون السماع بين راويين مع إمكان السماع ، وصدق أبو حفص الفلاس حين قال:" السماع من الرجال أرزاق[(٢)]"، وقال أبو داود صاحب السنن بعد أن ذكر

(١) علل أحمد (٥٦٠٤) علقمة هو ابن قيس النخعي.

(٢) تاريخ بغداد (١١٧/١٤).

شيوخًا رآهم ولم يسمع منهم:"والحديث رزق[٣]" وقال أبوطاهر السلفي:"السماع رزق[٤] " والذهبي في سياق المواساة يقول :"لكن السماع واللقاء مقدر[٥]" وهي عبارات قالها هؤلاء النقاد على اختلاف أعصارهم مما يوحي أن الأمر واقع .

والمراد بالإمكان وتوفر الأسباب مايتعلق بالزمان والمكان كأن يكونا في بلد واحد وزمن متقارب، أو يلتقيا في مكان واحد ومناسبة واحدة، فمثال الأول :رواية حصين بن جندب أبو ظبيان الكوفي لقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة ولم يسمع منه[٦]، وجعفر بن حيان العطاردي أدرك من حياة أنس بن مالك رضي الله عنه عشرين سنة وكان معه بالبصرة، ومع ذلك لم يسمع منه[٧]، وعبد الله بن عون البصري كان مع أنس بن مالك بالبصرة، وقد ورد أنه رأى أنسا وعليه عمامة خز، ولم يرد أنه سمع منه [٨].

ومن الثاني أن تجمعهما مناسبة واحدة كأن يقدم المحدث إلى البلد مجتازًا أو يجلس فيه أيامًا، ولعل من أعظم المناسبات، مناسبة الحج إلى بيت الله الحرام حيث يفد المحدثون إلى هذا البلد الأمين من كل فجٍ عميق، فهي فرصة عظيمة، وغنيمة ثمينة للمحدث بها يختصر المسافات والنفقات، لذا لما حج الإمام أحمد وابن معين رأيا عبدالرزاق في الطواف وكانا قد عزما على الرحلة إليه بعد الحج فقال ابن معين لأحمد :"قد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة [٩]"ومع ذلك فقد يحصل الاجتماع في هذه المناسبات ولا يحصل اللقاء، بل قد يحصل اللقاء ولا يحصل السماع، ومن أمثلة ذلك أن عطاء بن أبي رباح رأى أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يطوف بالبيت ولم يسمع منه [١٠]، وخصيف بن عبدالرحمن الحراني لم يسمع من أنس بن مالك رضي الله عنه مع رؤيته له في الطواف،

---

(٣) السير (٦٣٩/١٠).

(٤) الوجيز في ذكر المجاز والمجيز (ص: ١٤٠)

(٥) السير(١١/ ٤٤٥).

(٦) تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل (٧٨)

(٧)جامع التحصيل في أحكام المراسيل رقم (٩٥)

(٨) السير (٦/ ٣٦٤)والأمثلة كثيرة، ينظر : السير (٦/ ٣٩١)(٦٣٩/١٠)، وشرح العلل (١/ ٣٦٧)، وكتب المراسيل.

(٩) تاريخ دمشق (٢٦٧/٥).

(١٠) قاله علي بن المديني، جامع التحصيل (٢٣٧).

والأعمش يرى أنسًا يصلي خلف المقام ولم يسمع منه(١١)، وابن عيينة لم يسمع من سليمان بن موسى الأموي حين قدم مكة وهو فقيه أهل الشام في زمانه(١٢)، وعبدالله بن وهب المصري يقول:" رأيت هشام بن عروة جالسا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: آخذ عن ابن سمعان وأصير إلى هشام، فلما فرغت قمت إلى منزل هشام فقالوا: قد نام، فقلت: أحج وأرجع، فرجعت فوجدته قد مات(١٣)"

ثم إن البعض يتهيأ له السماع لكن يكون السماع عارضًا فلا يروي عن الشيخ إلا الحديث والحديثين، وقد لايسمع منه حديثًا إنما رأيًا أو فتوى ومن ذلك قال أبو مسهر عن سعيد بن عبدالعزيز التنوخي مفتي دمشق :" لم يسمع من عطاء بن أبي رباح إلا هذا الحديث الواحد قدمنا مكة فدهشنا عن الهرولة فسألت عطاء، فقال: لا شيء عليكم، قال أبو مسهر: ما سمع من عطاء سواه(١٤)"

فالمراد بإمكان السماع وتحقق أسبابه ما يتعلق بالمكان والزمان، فيخرج بهذا مالم يمكن اللقاء وإن وجدت المعاصرة كأن يروي الراوي عن شيخ من غير بلده ولا يُعلم أنه رحل إليه، ولا أن الشيخ قدم إلى بلد الراوي، أو يروي الابن عن أبيه ولم يمكنه السماع منه كأن يموت الأب وهو حمل في بطن أمه أو لما يبلغ سن التمييز(١٥).

على أن بعض النقاد قد ينفي السماع بين الراويين ومراده تحمله عن طريق السماع أو القراءة فقط، فقد يكون

---

(١١) تاريخ ابن أبي خيثمة(٥٣٣) ، والمراسيل (٢٩٧).

(١٢)التاريخ الأوسط (١٥٥١).

(١٣) تاريخ الإسلام (١١٤٣/٤)، والأمثلة كثيرة منها : علل أحمد (١٣٠/٣)،والجرح والتعديل (٢٠٥/٦)، والسير (٥٤٦/٩)،(١٨/١١) (٥٦١/١٧)، وتهذيب الكمال(٤٤٦/١)، ومناقب أحمد لابن الجوزي(٥٤)، وتاريخ الإسلام (٣٨٨/٨)،والوجيز في ذكر المجاز والمجيز (ص: ١٤٠) ومن ذلك في غير الحج، قال أبو الطيب الطبري: "خرجت إلى جرجان للقاء أبي بكر الإسماعيلي والسماع منه، فوصلت إلى البلد في يوم خميس فاشتغلت بدخول الحمام، ولما كان من الغد رأيت أبا سعد بن أبي بكر الإسماعيلي، فأخبرني أن أباه قد شرب دواء لمرض كان به، وقال لي: تجيء في صبيحة غد لتسمع منه، فلما كان في بكرة يوم السبت غدوت للموعد، فإذا الناس يقولون: مات أبو بكر الإسماعيلي، فنظرت وإذا به قد توفي في تلك الليلة " تاريخ بغداد (٤٩٢/١٠).

(١٤) تاريخ دمشق (٢١/ ١٩٧) والسير (٣٣/٨)، وينظر مثال آخر : عبد الرزاق في مصنفه (٨٤٣٠)، والسير (٣٢٦/٦-٣٣٣)

(١٥) ينظر من أمثلة ذلك :شرح العلل (٣٦٨/١-٣٦٩)، السير (٤٩٠/٨) (٥٢٣/٩)، تهذيب التهذيب (١١٢/١).

تحمل عنه بالعرض أو المناولة أو الإجازة فيعد الأمر بينهما متصلًا-حسب الخلاف في التحمل بها- ومثال ذلك ما نقله أحمد بن سنان القطان، عن عبد الرحمن بن مهدي، قال :"قال: بشر بن السري: لم يسمع ابن أبي ذئب، ولا الماجشون من الزهري، قال ابن سنان: معناه عندي: أنه عرض[١٦]" ومن ذلك قال أبو عبد الرحمن المقري عن يزيد بن أبي حبيب :"لم يسمع من الزهري شيئا ولم يعاينه "قال ابن أبي حاتم :"إنما كتب إليه وهو يقول في روايته كتب إليّ الزهري "قال العلائي:" تقدم أن مثل ذلك متصل [١٧]"

فكل هذا – وجود المعاصرة مع عدم إمكانية اللقاء، ونفي التحمل بالسماع مع وجود غيره من طرق التحمل – غير داخل في البحث .

وقد ترد في البحث أمثلة خارجة عن البحث لغرض ضرب المثل لفكرة ما كما سيأتي.

مشكلة البحث:

يمكن تلخيص مشكلة البحث من خلال الإجابة على الإشكالات التالية :

١- هل كل لقاء بين راويين يقتضي السماع ؟

٢- ما أسباب عدم السماع بين الراويين مع إمكانه ؟

٣- ما سبب تشديد النقاد في تتبع السماعات ؟

٤-هل هذه الأسباب في حكم النادر ؟

أهمية البحث:

تظهر من خلال النقاط التالية :

١- إزالة الغرابة عن الطالب المبتدي حين يتوهم أن كل لقاء يقتضي سماعًا.

---

(١٦) السير (٣١١/٧)..

(١٧)جامع التحصيل (ص: ٣٠٠) ومن ذلك :أن محمد بن موسى أبو بكر المصري وثقه النقاد، وقد حدث عن يونس بن عبدالأعلى المصري بالكتب الكثيرة على صغر سنة فتُكلم فيه، لكن قال ابن حجر:"يحتمل أن تكون له منه إجازة فاستجاز أن يطلق فيها الإخبار"ينظر :تاريخ ابن يونس(٤٦٢/١)، وتاريخ الإسلام(٤٥٠/٧)، واللسان (٥٣٦/٧).

٢- وجود أسباب كثيرة لعدم السماع بين الراويين مع إمكانه من خلال ضرب الأمثلة لكل سبب من الأسباب.

٣- معرفة مراد الأئمة بنفي السماع؛ فبعضهم يريد به نفيه مع اللقاء بالشيخ، وبعضهم يريد به عدم اللقاء أصلًا، وبعضهم يريد نفي التحمل عن طريق السماع بمعنى أن تكون الرواية بينهما متصلة عن طريق العرض أو الإجازة ونحوها.

أهداف البحث :

١- معرفة أن اللقاء لا يقتضي السماع دومًا.

٢-معرفة أسباب عدم السماع بين الراويين مع إمكانه.

٣- تفهم موقف النقاد من تتبع السماعات وفحص الروايات.

٤- إدراك أن هذه الأسباب منها ما يرجع إلى طبيعة الرواية، ومنها ما يرجع إلى طبيعة الشيخ، ومنها ما يرجع إلى طبيعة التلميذ، ومنها ما يرجع إلى وقت السماع والإسماع وظرفه، ومنها أسباب سياسية واجتماعية وشخصية، وهي تتفاوت ندرة وكثرة.

الدراسات السابقة :

وقفت على بحث في الموضوع بعنوان :"عوارض سماع الرواة من الشيوخ ، وأثرها عند المحدثين" للدكتور:سعيد محمد بواعنة ،نشر في مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والإجتماعية عام ١٤٣٧هـ، وقد ذكر الباحث هذه الأسباب ، بل زاد على ذلك حيث ذكر الآثار المترتبة على هذه العوارض ،وقد أجاد الباحث وفقه الله ،وجاء البحث في (٣٠) صفحة دون المصادر والهوامش ، وبعد قراءة البحث تبين أن الفرق بين البحثين يكمن فيما يلي :

١- في هذا البحث ذِكر أسباب أخرى لم يذكرها د. سعيد ، وهي كثيرة تصل إلى خمسة عشر سبباً تقريباً حسب طريقته في تفصيل الأسباب ، كما أن في بحثه أسباباً لم أذكرها هنا لأني ذكرتها على سبيل العموم فمثلاً ذكر -حفظه الله- من أسباب عوارض السماع بالنسبة للشيخ :تهاونه في الصلاة ،والقدح في العدالة ،وكون اعتقاده ومذهبه فاسداً، وخرمه للمروءة وجعل لكل سبب منها

رقماً، بينما ذكرتها في بحثي تحت سبب واحد وهو القدح في عدالة الشيخ أو مروءته .

٢- رغم اتحاد البحثين في بعض الأسباب ؛إلا أن الأمثلة تكاد تكون مختلفة تماماً .

٣- تقسيمات البحث الرئيسية مختلفة تماماً ، ولعل البحثين يُكمل أحدهما الآخر .

منهج البحث :

المنهج الاستقرائي من خلال القراءة في كتب الرجال وكتب المراسيل وحصر هذه الأسباب والتمثيل لها.

وقد أتى البحث على مقدمة وتسعة مباحث وخاتمة، وبيانها كالتالي :

المقدمة : وفيها التعريف بالبحث وأهميته وأهدافه.

المبحث الأول : عدم السماع بسبب طبيعة الرواية.

المبحث الثاني : عدم السماع بسبب طبيعة الشيخ.

المبحث الثالث : عدم السماع بسبب طبيعة التلميذ.

المبحث الرابع : عدم السماع بسبب وقت الإسماع وظرفه بالنسبة للشيخ.

المبحث الخامس: عدم السماع بسبب وقت السماع وظرفه بالنسبة للتلميذ.

المبحث السادس: عدم السماع لأسباب سياسية.

المبحث السابع : عدم السماع لأسباب اجتماعية.

المبحث الثامن : عدم السماع لأسباب شخصية.

المبحث التاسع : عدم السماع لأسباب خاصة.

الخاتمة : وفيها بيان خلاصة البحث وتوصياته.

المبحث الأول: عدم السماع بسبب طبيعة الرواية:

إن عدم السماع مع إمكانه له أسباب عامة؛ وأسباب خاصة، وهذه الأسباب منها ما يرجع إلى طبيعة الرواية، وكان هذا ظاهرًا في العصر الأول فقد كانت طبيعة الرواية فيه الإقلال من الرواية قدر الإمكان فلا تكاد تجد مكثرًا من الصحابة إلا النادر بحيث تستطيع عدهم على الأصابع، فقد كان لهذا العصر منهجه من قلة التحديث؛ بل

النهي عنه لأسباب منها عدم الانشغال به عن القرآن، ومنها خشية الوقوع في الخطأ والوهم، فالخطأ في نقل كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ليس كالخطأ على غيره فقوله تشريع، وقد قال صلى الله عليه وسلم:"إن كذبًا عليّ ليس ككذب على أحد [١٨]"،إضافة إلى النصوص الأخرى في وعيد الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بل الوعيد على من روى حديثًا لم يتثبت منه،كما في قوله صلى الله عليه وسلم:"من حدث عني بحديث وهو يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين [١٩]" وقد رويت بفتح الياء وضمها فالفتح بمعنى يعلم والضم بمعنى يظن[٢٠]،وقال صلى الله عليه وسلم:"كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع[٢١]"

والكلام هنا على ذلك الجيل الطاهر الذين بلغ بهم الورع والديانة أن يتحرزوا من الرواية خشية الخطأ، وإلا فهم أبعد الناس عن تعمد الكذب، لذا كان البعض يتهيب الحديث عنه صلى الله عليه وسلم مع ضبطه وإتقانه، وهذا المنهج سار عليه أكثر الصحابة وبعض التابعين، فتجد التابعي يصاحب صحابيًا، ولا يكاد يسمع منه إلا القليل جدًا من الأحاديث إذ الكثرة مظنة الوقوع في الغلط، وهم رضي الله عنهم لم يدعوا ذلك إهمالًا للبيان والبلاغ، إنما لأن غيرهم قام بهذا الفرض، فسقط عنهم الحرج؛ ومن تطبيقات ذلك:

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:"أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا شريككم" وقال سفيان بن عيينة:"اجتمعوا على عبيد الله بن عمر بالكوفة فقال :شنتم العلم، وأذهبتم نوره لو أدركني وإياكم عمر لأوجعنا [٢٢]"،وكان سفيان بن عيينة يقول لأصحاب الحديث:"أنتم سخنة عيني، لو أدركَنا وإياكم عمر بن الخطاب لأوجعنا ضربا[٢٣]" ولا يفهم من ذلك تزهيد عمر بالسنة كيف وهو القائل :"سيأتي قوم يجادلونكم بشبهات القرآن، فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله[٢٤]" !

---

(١٨)صحيح البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٤).

(١٩) مسلم في المقدمة (٨).

(٢٠) شرح النووي على مسلم (٦٤/١).

(٢١) مسلم (٥).

(٢٢)ملخص من مسند عمر ليعقوب بن شيبة (ص: ٣٨).

(٢٣)جامع بيان العلم (٤٠٩)

(٢٤)جامع بيان العلم (٤٠٠)

قال ابن عبدالبر :"وقد يحتمل عندي أن تكون الآثار كلها عن عمر صحيحة متفقة، ويخرج معناها على أن من شك في شيء تركه، ومن حفظ شيئا وأتقنه جاز له أن يحدث به، وأن الإكثار يحمل الإنسان على التقحم أن يحدث بكل ما سمع من جيد ورديء وغث [٢٥]"

وعن عبد الله بن الزبير قال: قلت للزبير بن العوام، مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود وفلانًا وفلانًا ؟ قال: أما إني لم أفارقه منذ أسلمت، ولكني سمعت منه كلمة، يقول: "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار[٢٦]"وقيل لزيد بن أرقم: حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:"كبرنا ونسينا، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد[٢٧]"، وعبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: " أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.. فما كان منهم محدث إلا ودّ أن أخاه كفاه الحديث ولا مفتي إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا [٢٨]"،وقال مجاهد:"صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا واحدا..[٢٩]"وعن السائب بن يزيد قال:" صحبت سعد بن أبي وقاص زمانا فلم أسمعه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا حديثا واحدا..[٣٠]"وهذا عبدالله بن زيد بن عبدربه – صاحب رؤيا الأذان –كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة، من حين قدومه وشهد المشاهد كلها وتوفي بعد النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة تقريبًا، ومع ذلك قال الترمذي:"لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا يصح إلا هذا الحديث الواحد في الأذان[٣١]" بل هؤلاء العشرة المبشرون بالجنة رضي الله عنهم لا يُعرف لأغلبهم إلا القليل من الحديث .

والأمثلة في هذا الباب كثيرة.

---

(٢٥)جامع بيان العلم (٤٠١)

(٢٦)سنن ابن ماجه (٣٦).

(٢٧)سنن ابن ماجه (٢٥).

(٢٨)جامع بيان العلم (٤٥١).

(٢٩)صحيح البخاري (٧٢).

(٣٠)مسند الشاشي (٦٢)، ومستدرك الحاكم (٦١١٠).

(٣١)سنن الترمذي (١٨٩).وينظر ترجمته في تهذيب التهذيب (٢٢٤/٥).

إلا أن بعض المحدثين لما رأى هذا النهج خشي على سنة النبي صلى الله عليه وسلم الضياع ذلك أن غالب الأحاديث كانت في الصدور،وما في الصدور سيفنى بموت أصحابها أو اختلاطهم ونسيانهم، فرأوا أن عليهم واجب البلاغ فكثرت مجالس التحديث، والوصاية بكتابة السنة، بل شرعت الرحلة للسماع والإسماع، وأخذ التدوين طابع الرسمية حيث أمر به الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، فكما أن للسابقين منهجهم في الإقلال معتمدين على نصوص الوعيد، فاللاحقون أيضًا لهم منهجهم في الحرص على التحديث معتمدين على نصوص التبليغ والبيان فهذا عطاء بن أبي رباح يقول سمعت أبا هريرة يقول: " لولا آيتان أو قال آية من كتاب الله عز وجل ما حدثت بشيء أبدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إلى قوله ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠] [(٣٢)]" قال عطاء: «لولا هذه الآية ما حدثت بشيء أبدا[(٣٣)]»

والحاصل أن وجود هذا السبب وهو قلة التحديث في العصر الأول بين الصحابة والتابعين غير مستغرب ، ومن ثَمَّ فلم يكن التفرد مستغربًا في مثل هذه الطبقة، ولم يكن موضع إعلال أو مظنته، بعكس التفرد في عصر الرواية، ويمكن أن يُمثل له بعدم سماع عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر المدني من الصحابي سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه[(٣٤)]، وترى ذلك ظاهرًا في كتب المراسيل حيث الإرسال في هذه الطبقة كثير.

ثم قد يمتد هذا السبب حتى في عصر الرواية ،فبعض الآراء قد يكون لها امتداد وتأثير على البعض فتجده يُقل التحديث تورعاً، أو خوفاً من الخطأ ، أو خشية أن ينشغل الناس بالحديث عن العبادة وتزكية النفس ،أو خشية أن تكون الكثرة على حساب الفهم والتدبر والعمل ،أو غير ذلك ، ومن ذلك :قال إسحاق الطبري عن الفضيل بن عياض:"كان شديد الهيبة للحديث إذا حدث، وكان يثقل عليه الحديث جدًا، وربما قال لي: لو أنك طلبت مني الدنانير كان أيسر عليّ من أن تطلب مني الحديث[(٣٥)]"، وكان يقول لأصحاب الحديث :"لم تكرهوني على أمر تعلمون أني كاره له –يعني: الرواية–[(٣٦)]"وقال شعبة: "ما رأيت أحدا أصدق من سليمان التيمي رحمه الله كان

(٣٢)صحيح البخاري (٢٣٥٠).
(٣٣)المحدث الفاصل (٥٥١).
(٣٤)السير (٦/ ٥)
(٣٥) السير (٨/٤٢٨)
(٣٦) السير (٨/٤٣٦)

إذا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم تغير لونه(٣٧)" ومسعر بن كدام الملقب بالمصحف من شدة تثبته كانوا يقولون له: ما أكثر تشكك؟ فيقول: "تلك محاماة عن اليقين" ، و لما جاء جمع من الصنعانيين للمدينة سمعوا من الإمام مالك أحاديثه عن ربيعة الرأي، وسألوه المزيد من أحاديثه، فدلهم على ربيعة نفسه، فاستغربوا وذهبوا إليه وقالوا:"كيف حظي بك مالك، ولم تحظ أنت بنفسك ؟(٣٨)" وقال يحي بن يمان:"يكتب أحدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر فإذا سئل أحدهم عن مسألة جلس كأنه مكاتب(٣٩)"

المبحث الثاني : عدم السماع بسبب طبيعة الشيخ.

فالشيخ له طبيعته وسياسته ومنهجه في التحديث مما لا يتهيأ للطالب الأخذ عنه والسماع منه، مع إدراكه له بل حضوره عنده، ولهذا صور عدة :

١-فبعض المحدثين لا يُحدِّث إلا من كان على مذهبه ورأيه، قال العجلي عن زائدة بن قدامة: "صاحب سنة، لا يحدث أحدا حتى يَسأل عنه، فإن كان صاحب سنة حدثه، وإلا لم يحدثه(٤٠)"

وقال أبو مسهر:"قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق، فاجتمع الناس ليسمعوا منه، فقال: اخرج إلى الناس، فقل لهم:من كان يرى القدر، فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يرى رأي فلان، فلا يحضر مجلسنا فخرجت، فأخبرتهم(٤١)"

وعبيد الله بن موسى العبسي الكوفي قال عنه ابن منده :"كان معروفا بالرفض، لم يدع أحدا اسمه معاوية يدخل داره، فقيل: دخل عليه معاوية بن صالح الأشعري،فقال:ما اسمك؟قال: معاوية، قال:والله لاحدثنك، ولا حدثت قومًا أنت فيهم (٤٢)"

والأمثلة على هذا كثيرة جدًا، وسيأتي أن هذا السبب من أكثر الأسباب في عدم السماع بين الراويين نظرًا

---

(٣٧)السير (١٩٦/٦).

(٣٨) تاريخ بغداد (٤١٩/٩)

(٣٩) السير (٤٣٦/٨)

(٤٠) السير (٣٧٧/٧).

(٤١) السير (٥٤١/٨).

(٤٢) السير (٥٥٦/٩). ومن الأمثلة : السير(٤٦٥/١٠).

لانتشار الفرق والأهواء في ذلك العصر، وترى هذا ظاهرًا من خلال الجروح التي يطلقها النقاد على الرواة، فرغم أن البعض غاية في الثقة والإتقان تجدهم يعيبونه برأيه وبدعته.

أضف إلى ذلك أن بعض البدع تجعل الشيخ كالمعزول عن الناس فلا يصل إليه كل أحد، وذلك كبدعة الخوارج ممن يرى عدم الصلاة خلف أئمة الجور، فيتركون الجُمع والجماعات إذ كان الأمراء هم الذين يتولونها في ذلك الوقت ، فهذا عمران بن حطان الخارجي الرواة عنه قلة رغم أنه في البصرة [٤٣].

٢- أن بعض المحدثين لا يُحدث إلا من كتابه، فقد يرحل هذا الشيخ لغرض ما فيلتقي به الطالب فلا يستطيع الشيخ إسماعه لكونه غير حافظ لحديثه، والكتاب ليس معه، ولذا لما قدم جرير بن عبدالحميد الضبي الرازي بغداد يريد الحج قال له أبو الوليد الطيالسي:" حدثنا، قال: لستُ أحفظ وكتبي غائبة، وأنا أرجو أن أؤتى بها[٤٤]"

٣- وبعض المحدثين يكون عسر الرواية، فأهل بلده يجدون عناء في السماع منه فكيف بالغرباء؟ قال أحمد: "رأيت بشر بن عمر يعني الزهراني (البصري) وكان إنسانًا غلقًا سيء الخلق فلم يُقدَّر أن أكتب عنه شيء[٤٥]" وقال ابن معين عن خالد بن مهران البلخي وقد قدم بغداد: "أتيناه فأبى أن يحدثنا، وكان عسرًا[٤٦]"وربما استعمل بعضهم الحيل للسماع من مثل هؤلاء العسرين [٤٧].

٤-أن بعض المحدثين يمتنع من التحديث لوجود من هو أعلم منه، أو أعلى منه سندًا، فهذا محمد بن

---

(٤٣) تهذيب الكمال (٢٢/ ٣٢٢) والأظهر أن قلة الرواية عنه بسبب بدعته ، وينظر :السير (٣٦٤/٧).

(٤٤) تاريخ الإسلام (٨٢٠/٤)، وينظر تاريخ بغداد (١٩٠/٧)

(٤٥)علل أحمد (٤٥٥٥)

(٤٦) تاريخ بغداد (٢٣٤/٩)، وفي المقابل تجد في المحدثين من سخر نفسه لإسماع الحديث ويخص الغرباء بمزيد عناية، حتى ذكر أن وكيعا كان يمضي في الحر وقت القيلولة للجمال إلى قوم سقائين يحدثهم ويقول: «هؤلاء قوم لهم معاش، لا يقدرون يأتوني، فيحدثهم يتواضع بذلك»ينظر: تاريخ بغداد (٥٤٢/٣)، وتهذيب الكمال (١٤٠/١٦)، والسير (٢٦٠/١٠)(١٩٢/١١)(٦١/١٢) والأمثلة كثيرة جدًا، على أن عَسير الرواية أو من لا يحدث إلا يسيرًا مع كثرة مروياته فيه دلالة على أنه بعيد عن الكذب والتدليس؛ لذا لما سئل ابن معين عن أحدهم قال:" ليته حدّث بما سمع فكيف يكذب؟" تاريخ بغداد (١١٢/٣)، وهذا الحافظ سعدويه قيل له:" لم لا تقول: حدثنا؟ فقال: كل شيء حدثتكم، فقد سمعته، ما دلست حديثًا قط، ليتني أحدث بما قد سمعت" السير (٤٨٢/١٠) وهذا في الغالب، وإلا فقد يكون عسرًا ومدلسًا كالأعمش.

(٤٧) ينظر مثاله في السير (١٤٥/٩).

عبدالرحمن بن أبي الزناد رغم أنه مدني وانتقل إلى العراق –وهما بلدا الرواية– قد طلب الحديث مع والده ولقي عامة شيوخ والده إلا أنه لم يُرو عنه إلا القليل جدًا، والسبب أنه كان يأبى أن يُحدث ووالده حي، وقد توفي بعد والده بعشرين يومًا تقريبًا(٤٨)، وعبد الله بن عمر بن حفص بن عاصم العُمري كان يُسأل في حياة أخيه (عبيد الله) عن الحديث، فيقول:" أما وأبو عثمان حي فلا (٤٩)" وسئل عبد الله بن المبارك عن مسألة بحضور سفيان بن عيينة فقال: "إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا (٥٠)"وقال ابن معين: "الذي يحدث ببلد به من هو أولى بالتحديث منه أحمق(٥١)"، ولعل هذا من أسباب قلة مروياته فقد كان في بغداد وفيها الإمام أحمد وابن المديني وقد مات قبلهما.

على أن الطلاب يقصدون الأعلى والأعلم ابتداء، فقد لايكون لمن دونه حظوه، وإن كان لا يمانع من التحديث، قال أسلم المنقري:" جاء أعرابي فجعل يقول: أين أبو محمد؟ قال فأشاروا إلى سعيد بن جبير. فقال: أين أبو محمد؟ فقال سعيد: ما لنا هاهنا مع عطاء شيء (٥٢)" وعطاء هو ابن أبي رباح، وكلاهما يكنى أبا محمد، وحماد بن أسامة قال –يقصد وكيع بن الجراح –:" هذا التنين لا يقع في مكان إلا أحرق ما حوله.. (٥٣)"

والخلاصة أن الطالب قد يلتقي في هذه المدة بأحد هؤلاء الذين يأبون الحديث مع وجود من هو أعلم وأعلى منهم فلا يتمكن من السماع منه، لاسيما والمدة قد تطول، فالتلميذ قد يلازم شيخه سنوات، قال الإمام مالك: "كان الرجل يختلف إلى الرجل ثلاثين سنة يتعلم منه"، وقال عبد الله بن نافع:" جالست مالكًا خمسًا وثلاثين سنة (٥٤)" لكن قد يقال إن هذا الرجل سيسمع من الشيخ ولن يسمع من هذا التلميذ أصلًا، فيقال هو كذلك، لكن أحيانًا يكون عند التلميذ ما ليس عند الشيخ من الأحاديث كما في مالك وشيخه ربيعة بن أبي عبدالرحمن، أو

(٤٨) تاريخ بغداد (٥٢٩/٣).
(٤٩) السير (٣٤٠/٧) (٣٠٦/٦).
(٥٠) السير (٤٢٠/٨).
(٥١) السير (٢٣١/١٠). وينظر أمثلة أخرى : المسند (٤٠/٢٢)، وتهذيب الكمال (١٥٥/٢)، والسير (٣٨٢/٨).
(٥٢) الطبقات الكبرى (٢١/٦).
(٥٣) تهذيب الكمال (٤٧٩/٣٠) وستأتي الحكاية كاملة.
(٥٤) السير (١٠٨/٨)، ومثله النص الذي قبله.

يكون التلميذ قرينًا للشيخ، ومن تواضعه يأبى الحديث مع وجوده [٥٥].

٥-بعض المحدثين يحب التخفي وعدم الظهور خاصة في المناسبات التي يريد أن يخلو بها بنفسه أو يخاف فيها على نيته، كرحلة الحج مثلًا؛ فالبعض يريد برحلته أن تكون خالصة للحج دون غيره؛ لذا قد لا يعلم به إلا رفقته، قال حماد بن زيد: "كان لأيوب برد أحمر يلبسه إذا أحرم.. وكنت أمشي معه، فيأخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها، فرارا من الناس أن يقال: هذا أيوب[٥٦]" وأحدهم جاور بمكة سنين، وكان لا يظهر في المواسم[٥٧]، وقال الحاكم عن أحد شيوخه:" في الحج طلبته في القوافل، فأخفى نفسه[٥٨]"وحتى بعض الطلاب يرى التفرغ لهذه العبادة فهذا جرير بن حازم يقول: "رأيت أبا الطفيل بمكة، قال له ابنه: ما منعك أن تسمع منه؟ قال: كان طوافٌ واحدٌ يا بني أحبَّ إليّ من ذلك" علق الدارقطني قائلًا :" هذا حديث غريب فيه دليل على أن جرير بن حازم من التابعين؛ لأن أبا الطفيل قد كان رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه [٥٩]" فرغم أن هذا هو الصحابي الوحيد الذي رآه جرير، إلا أنه انشغل عنه بالطواف.

٦-بعضهم يرى أن الإخلاص في هذا الباب عسير، وأن الإخلاص في الخلاص من هذا الأمر، فالحديث فتنة، وأن على الإنسان أن ينشغل بنفسه، وإلى هذا ينحو البعض من أهل التصوف حتى قال أحدهم ممن طلب الحديث في شبابه وهو بشر الحافي البغدادي :" إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء[٦٠] "، وقد حج مع الإمام مالك وسمع منه، وكان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، ودفن كتبه لأجل ذلك، وكل ما سُمع منه فإنما هو على سبيل المذاكرة[٦١]، وقال جعفر الخُلْدي ت(٣٤٨)-وكان واسع الرحلة كثير الحج - : "لو تركني الصوفية لجئتكم بإسناد الدنيا، مضيت إلى عباس الدوري وأنا حدَث، فكتبتُ عنه مجلسا واحدا، وخرجت من عنده فلقيني بعض

(٥٥) ينظر ما قد يكون مثالاً لذلك :علل أحمد رقم (٤٥٥٧ إلى ٤٥٦٢)، وينظر أيضًا (٤٥٥٣) (٤٥٩٩) .

(٥٦) السير (٢٢/٦).

(٥٧) تاريخ بغداد (١٦٤/١٠).

(٥٨) السير (٣٣٦/١٦). وينظر ما سبق في عدم رؤية الحاكم لسعيد بن سلام.

(٥٩) تاريخ بغداد (٥٧٨/٣). وينظر أيضًا : الثقات لابن حبان (٣٧٨/٨).

(٦٠)السير (٤٧١/١٠).

(٦١)تاريخ بغداد (٧/ ٥٤٥-٥٤٧-٥٤٩) والسير (٤٧٠/١٠).

من كنتُ أصحبه من الصوفية، فقال: أيش هذا معك؟ فأريتُه إياه. فقال: ويحك، تدع علم الخِرق، وتأخذ علم الورق! قال: ثم خرق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي، فلم أعد إلى عباس(٦٢)". لذا غالب المتصوفة في باب الرواية فيهم ضعف؛ لأن الحديث ليس من بضاعتهم.

٧-بعضهم له طريقته في التحديث يعرفها أهل بلده، فربما خالف الغريب هذه الطريقة فيجد الصدود من الشيخ، ومن ذلك أن عبد الرحمن بن سلام البصري يقول: "دخلت على مالك بن أنس وعلى بابه من يحجبه ,وكان بين يديه ابن أبي أويس (المدني) وهو يقول: حدثك نافع ,حدثك ابن شهاب ,حدثك فلان وفلان ,فيقول مالك: نعم نعم ,فلما فرغ قلت: يا أبا عبد الله عوضني مما حدثته بثلاثة أحاديث تقرؤها عليّ، قال: أعراقي أعراقي؟ أخرجوه عني(٦٣)" فمن طريقة الإمام مالك أن يكتفي بالعرض، ويرى أنه كالسماع، ولو كل طالب أراد السماع لشق ذلك عليه خاصة في أيام الموسم، ومن الطريف ما وقع له مع هشام بن عمار الدمشقي، قال هشام: "دخلت على مالك، فقلت له: حدثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا، بل حدثني، فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام، تعال اذهب بهذا، فاضربه خمسة عشر، فذهب بي، فضربني خمس عشرة درة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت له: لم ظلمتني؟ ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في حل، فقال مالك: فما كفارته ؟قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثًا، قال: فحدَّثني بخمسة عشر حديثًا، فقلت له: زد من الضرب، وزد في الحديث، فضحك مالك، وقال: اذهب(٦٤)"

٨- وبعضهم يكون ذا مهابة وسلطان، فقد يحجم الإنسان عن سؤاله أو طلب السماع منه، سيما إذا كان الطالب ذا حياء ، وربما زاد الأمر رهبة طبيعة مجلس الشيخ وما يضعه من شروط وقوانين حتى أن أبا اليمان الحكم

(٦٢)تاريخ بغداد(١٤٦/٨).

(٦٣) المحدث الفاصل (٤٢١).

(٦٤) السير (٤٢٨/١١). وانظر قصة طريفة بين مالك ورجل آخر في الكفاية للخطيب (٢٧٣)، ذلك أن أهل العراق والشام يرون أن السماع أقوى من العرض وبعضهم يرى عدم صحة العرض، بينما أهل المدينة يرون العرض والسماع واحد، ينظر تاريخ بغداد (٣٩١/١٦).ولذا قال إبراهيم بن سعد المدني لشريك الكوفي:" يا أبا عبد الله معي أحاديث فحدثني، قال: أجدني كسلا؛ قال فأقرؤها عليك؟ قال: ثم تقول ماذا؟ قال: أقول حدثني شريك قال: إذا تكذب.". الكامل لابن عدي (٢٤/٥)، وينظر مثال آخر : السير (١٧٧/١١)(٣١٧/١١).

بن نافع لم يسمع من مالك؛ قال أبو اليمان :"صرت إلى مالك، فرأيت ثمَّ من الحُجاب والفرش شيئًا عجيبًا، فقلت: ليس ذا من أخلاق العلماء، فمضيت، وتركته، ثم ندمت بعد[٦٥]" وحتى أن جمعًا من المصريين هموا بترك السماع منه، قال عبدالله بن صالح المصري كاتب الليث بن سعد —وليس له رواية عن مالك-:"كنا على باب مالك، فامتنع عن الحديث، فقلت: ما يشبه هذا صاحبنا ؟قال: فسمعها مالك، فأدخلنا، وقال: مَن صاحبكم؟ قلت: الليث —وكان سهلًا سمحًا سخيًا – قال: تشبهونا برجل كتبت إليه في قليل عصفر، نصبغ به ثياب صبياننا، وصبيان جيراننا، فأنفذ منه ما بعنا فضلته بألف دينار[٦٦]" قال الواقدي عن الإمام مالك :" وكان مجلسه مجلس وقار وحلم.. وكان رجلا مهيبا، نبيلا، ليس في مجلسه شيء من المراء واللغط، ولا رفع صوت، وكان الغرباء يسألونه عن الحديث، فلا يجيب إلا في الحديث بعد الحديث، وربما أذن لبعضهم يقرأ عليه.. [٦٧]" وكانت الملوك تهابه[٦٨]، وقد قال فيه مصعب بن عبد الله الزبيري : يدع الجواب فلا يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان

عز الوقار ونور سلطان التقى ... فهو المهيب وليس ذا سلطان[٦٩]

وقال الإمام أحمد :" لزمت هشيمًا أربع سنين، أو خمسًا، ما سألته عن شيء، إلا مرتين، هيبة له، وكان كثير التسبيح بين الحديث، يقول بين ذلك: لا إله إلا الله، يمد بها صوته[٧٠]"

٩-بعض المحدثين يستعمل التأديب مع الطلاب،وأعظم أساليب التأديب الحرمان من التحديث، ومن ذلك؛ قال زكريا الساجي:"جاء محمد بن مسلم بن وارة إلى أبي كريب، وكان في ابن وارة بأو، فقال لأبي كريب: ألم يبلغك خبري؟ ألم يأتك نبئي؟ أنا ذو الرحلتين، أنا محمد بن مسلم بن وارة، فقال له أبو كريب: وارة وما وارة وما أدراك ما

(٦٥)جامع بيان العلم (٤١٠) قال ابن عبدالبر :" إنما عابوا الإكثار خوفا من أن يرتفع التدبر والتفهم "

(٦٦) تاريخ دمشق (٣٧١/٥٠)، والسير (١٥٧/٨).

(٦٧) الطبقات الكبرى (٤٦٩/٥)

(٦٨) السير (٤٢٥/٨).

(٦٩) السير (٤٦٩/٨)

(٧٠) السير (٢٩٠/٨)

وارة!! قم، فوالله لا حَدَّثْتُكَ ولا حَدَّثْتُ قومًا أنت فيهم [٧١]"

وشعبة لما اضجره طلاب الحديث حلف ألا يحدثهم شهرًا، فقصده أبو عاصم النبيل وقال:" حدِّث، وغلامي العطّار حرٌ لوجه الله كفارة عن يمينك، فأعجبه ذلك"[٧٢].

وكان بين بندار وأبي موسى الزمن ما يكون بين الأقران، قال محمد بن المسيب: "لما مات بندار، جاء رجل، فقال: يا أبا موسى، البشرى مات بندار، قال: جئت تبشرني بموته؟!عليّ ثلاثون حجة إن حدثت بحديث أبدا، فبقي أبو موسى بعده تسعين يوما لم يحدث، ومات[٧٣]"

المبحث الثالث: عدم السماع بسبب طبيعة التلميذ:

ومن أسباب عدم السماع مع إمكانه: طبيعة التلميذ، ومنهجه في السماع والأخذ عن الشيوخ، فقد يلتقي بالشيخ لكن يكون على غير السَنَن والطريق الذي يريده التلميذ، فلا يسمع منه، ولا يأخذ عنه؛ ولهذا صور :

١-فبعض التلاميذ يكون عسر التحمل؛ يدقق في القليل والجليل، فتجده يسمع من الشيخ، ولا يكتفي حتى يعرض هو على الشيخ، وربما كرر قراءة الحديث الواحد على شيخه مرات، أو تجده لا يروي إلا عن أهل الاتقان والضبط الشديد ولا يرضى بمن دونهم، بل البعض لا يكتفي بالسماع إنما يريد أعلاه وهو الإملاء ، ومثل هذا لا يتهيأ دائمًا خاصة في أوقات الزحام وكثرة الطلاب؛ وكذا في المناسبات العارضة ، فالوقت قصير ، ولما سافر يحي بن سعيد الأنصاري المدني إلى البصرة، قال يزيد بن زريع :"كان يحي لا يُملي، فكنا ندخل عليه، ومعنا ابن علية وجماعة، فنحفظ، فإذا خرجنا كتب هذا ما حفظ، وهذا ما حفظ، فتركت لذلك حديثه، وقلت: لا آخذ ديني عنكم[٧٤]" ، وقال حماد بن زيد عن شعبة:"كان لا يرضى أن يسمع الحديث مرة، يعاود صاحبه مرارا، ونحن كنا إذا سمعناه مرة اجتزينا به[٧٥]"وقال ابن معين لجعفر بن أبي عثمان الطيالسي: "لو أدركت أنت زيد بن الحباب، وأبا

---

(٧١)تاريخ بغداد (٤/٤٢٢) والبأو هو الكبر والعظمة ينظر : النهاية (١/٩١).

(٧٢)السير (٩/٣٨٤).

(٧٣)السير (١٢/١٤٨).

(٧٤) السير (٥/٤٧٢).

(٧٥) شـــرح العلل (١/١٧٦)، ومن أمثلة ذلك قوله :" اختلفت إلى عمرو بن دينار خمس مائة مرة، وما سمعت منه إلا مائة

أحمد الزبيري لم تكتب عنهم يعني في شدة أخذه عن الشيوخ [٧٦]".

٢-بعضهم لا يرضى إلا بالسماع من الشيخ، ولا يقبل التحمل بالطرق الأخرى كالعرض والإجازة، قال محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري:" أدركت مالك بن أنس فإذا الناس يقرأون عليه فلم أسمع منه شيئًا لذلك[٧٧]".

لذا لما قدم المهدي المدينة؛ بعث إلى مالك فأتاه، فقال لابنيه هارون وموسى: "اسمعا منه، فبعث إليه، فلم يجبهما، فأعلما المهدي، فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين! العلم يُؤتى أهله، فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلما صارا إليه، قال له مؤدبهما: اقرأ علينا، فقال:إن أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطؤوا، أفتاهم، فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك فكلمه، فقال: سمعت ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، ونافع، وعبد الرحمن بن هرمز، ومن بعدهم: أبو الزناد، وربيعة، ويحي بن سعيد، وابن شهاب، كل هؤلاء يُقرأ عليهم، ولا يقرؤون، فقال: في هؤلاء قدوة، صيروا إليه، فاقرؤوا عليه ففعلوا [٧٨]"فكان العرض عند أهل المدينة كالسماع، بينما العكس في بعض البلدان بل ربما لايرون صحة التحمل بالعرض[٧٩].

ومن ذلك قول الإمام أحمد: "رأيت عبد الله بن وهب بمكة.. فذكرت أنه كان يعرض له على ابن عيينة وهو نائم فتركته قال وبلغني أنه كان لا يدخل في مصنفه من ذاك العرض شيئا ثم كتبت بعدُ عن رجلٍ عنه[٨٠]"

٣-بعضهم يمتنع من السماع لكون الشيخ مجروح العدالة أو مخروم المروءة ، فلا يسمع منه لكونه على غير رأيه ومذهبه؛ كأن يرى أنه مبتدع، أو يرى أنه ارتكب محظورًا أو فعلًا ينافي المروءة، أو يكون داخلًا في أعمال السلاطين من قضاء ونحوه، فهذا أبو قلابة الجرمي البصري فيه نصب يسير وقد رأى عليًا إلا أنه لم يرو عنه شيئًا

حديث " السير (٧/٢٢٥).

(٧٦) تاريخ بغداد (٨/٨٣)، وينظر: أمثلة أخرى السير(٦/١٦٦) (٧/٢١٧) (١٠/٣٦٣)(١٦/١٦٠) (١٧/٦٢٨).

(٧٧) التهذيب (٩ /٢١٣)، وينظر: تاريخ بغداد (٦/٦٠٦)، والسير (١٠/٢٤٥-٢٤٧)، والأنوار الكاشفة للمعلمي (٩٠).

(٧٨)السير (٨/ ٦٣).

(٧٩) ينظر فتح المغيث (٢/ ٣٤١).

(٨٠) علل أحمد (٤٥٥٦) بتصرف يسير،

فقد كان يحمل عليه(٨١).

وكان الأعمش يقول: "كان أنس بن مالك يمر بي طرفي النهار، فأقول: لا أسمع منك حديثا، خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئت إلى الحجاج حتى ولاك؟ ثم ندمت، فصرت أروي عن رجل عنه(٨٢) " ويروى عنه مباشرة على التدليس.

ومن ذلك ما روى عتاب بن بشير عن خُصيف بن عبدالرحمن الحراني قال:"كنتُ مع مجاهد فرأيت أنس بن مالك فأردت أن آتيه فمنعني مجاهد، فقال: لا تذهب إليه فإنه يُرخص في الطلاء، قال فلم ألقه ولم آته، قال عتاب: فقلت لخصيف: ما أحوجك إلى أن تضرب كما يضرب الصبي بالدِّرة تدع أنس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيم على كلام مجاهد(٨٣)"، وشدد عتاب عليه القول –مع أنه من تلاميذه– لكون خصيف لم يلق أحدًا من الصحابة، فكان السماع من أنس رضي الله عنه فرصة لا تعوض.

وقال سلم بن جنادة:" دخلت على عبيد الله بن موسى لأسمع منه، فإذا هو يقرأ على قوم مثالب عثمان بن عفان، فخرجت ولم أسمع منه شيئًا(٨٤)".

وقال قيس بن الربيع:"قدم قتادة الكوفة، فأردنا أن نأتيه، فقيل لنا: إنه يبغض عليًا رضي الله عنه فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذنا عن رجل عنه(٨٥)" .

ومن ذلك: قال يحيى بن جعفر البيكندي:"كنت مرجئًا فخرجت إلى الحج فدخلت الكوفة فسألت وكيع بن الجراح عن الإيمان؟ فقال: الإيمان قول وعمل فلم أستحل أن أكتب عنه ثم دخلت مكة فسألت سفيان بن عيينة

---

(٨١) الثقات للعجلي رقم (٨٨٨)

(٨٢)السير (٦/٢٤٠). ويقول :"رأيت أنسا، وما منعني أن أسمع منه إلا استغنائي بأصحابي" السير (٦/٢٤٦)، لكن أصحابه ليسوا في طبقة الصحابي الجليل أنس، لذا ندم على عدم السماع منه، وقد ورد في بعض الأسانيد تصريحه بالسماع لكنها لاتخلو من ضعف.قال الترمذي (٣٥٣٣) :" ولا نعرف للأعمش سماعا من أنس إلا أنه قد رآه ونظر إليه"

(٨٣) الكامل في الضعفاء (٣/٥٢٤)، وتاريخ دمشق (١٦/٣٨٣)، وقوله يرخص في الطلاء أي في شربه، وقد اختلف أهل العلم هل يُلحق بالخمر أم لا؟ ينظر: الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٨/٢١١).

(٨٤)تاريخ بغداد (١٠/٢١٣)، وينظر (٨/١٨٤).

(٨٥) السير (٥/٢٧٢).

عن الإيمان؟ فقال: الإيمان قول وعمل فلم أستحل أن أكتب عنه ثم دخلت اليمن وجلست في مجلس عبد الرزاق فلم أسأله عنه، فأُخبر بمذهبي فلما جلس أصحابي، قال لي:يا خراساني والله لو علمت أنك على هذا المذهب ما حدثتك اخرج عني، فقلت في نفسي: صدق عبد الرزاق لقيت وكيع بن الجراح فقال: الإيمان قول وعمل، ولقيت سفيان بن عيينة فقال: الإيمان قول وعمل، فرجعت عن مذهبي وكتبت عنهما بعد رجوعي من اليمن(٨٦)".

وقيل لمالك:" لم لم تأخذ عن عمرو بن دينار؟ قال: أتيته، فوجدته يأخذون عنه قيامًا، فأجللت حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أن آخذه قائمًا (٨٧)".

وأبو جعفر الرازي حج مع المهدي، ورأى الزهري لكن قال :"لم أكتب عن الزهري، لأنه كان يخضب بالسواد (٨٨)"

ومن ذلك :قال الإمام أحمد :"جئنا إلى شعيب –بن حرب– أنا، وأبو خيثمة، وكان ينزل.. على قرابة له، فقلت لأبي خيثمة: سله، فدنا إليه، فسأله، فرأى كمه طويلا، فقال: من يكتب الحديث يكون كمه طويلًا ؟! يا غلام! هات الشفرة، فقمنا، ولم يحدثنا بشيء(٨٩)"

وعبد الله بن أحمد يقول :"قلت لأبي: ما لك لم تسمع من إبراهيم بن سعد وقد نزل بغداد في جوارك ؟فقال: أعلم يا بني أنه جلس مجلسا واحدا وأملى علينا، فلما كان بعد ذلك خرج وقد اجتمع الناس فرأى الشباب تقدموا بين يدي المشايخ، فقال ما أسوأ آدابكم تتقدمون بين يدي المشايخ لا أحدثكم سنة فمات ولم يحدث (٩٠)"

وقال أحمد بن أبي خيثمة :" خرجنا في سنة تسع عشرة ومائتين إلى مكة، فقلت لأبي: عمن أكتب ؟فقال: لا تكتب عن أبي مصعب (الزهري)، واكتب عمن شئت "، قال الذهبي: "أظنه نهاه عنه؛ لدخوله في القضاء والمظالم، وإلا فهو ثقة، نادر الغلط، كبير الشأن (٩١)"

---

(٨٦) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٨٥/٣٦)، ومختصره (١٠٦/١٥).

(٨٧) السير (٦٧/٨)

(٨٨) السير (٣٤٧/٧)،وينظر مثال آخر: السير (٢٣٥/٥)

(٨٩)السير (١٨٩/٩).

(٩٠)أدب الإملاء والاستملاء (١٢٠).

(٩١) السير (٤٣٧/١١).

وقال أبو نعيم عن المسعودي :" رأيته في قباء أسود وشاشية، وفي وسطه خنجر... فتوقف أناس في الأخذ عنه لذلك[٩٢] "ولبس السواد كان شعار الدولة العباسية ومن يلي أمورهم، وقال القاسم بن سلام:" ناظرت يحيى القطان، في حجاج بن أرطاة، وظننت أنه تركه من أجل لبسه السواد، فقلت: لم تركته؟ فقال: للغلط، قلت: في أي شيء، فحدث يحيى بغير حديث [٩٣]"

والأمثلة على هذا كثيرة جدًا، وبالنظر في كتب الرجال يظهر أن هذا السبب _ وهو ملابسة الراوي لنوع من البدع أو الدخول في أعمال الولاة _ من أكثر الأسباب لعدم السماع مع إمكانه في عصر الرواية، نظرًا لانتشار الفرق والأهواء والمظالم في ذلك العصر، فكانوا يحذرون الناس منها؛ ومن ذلك إماتة أصحابها وهم أحياء وذلك بعدم الرواية عنهم، حتى قال أحدهم :" لأن ألقى الله بصحيفة الحجاج (بن يوسف الثقفي)، أحب إلي من أن ألقى الله بصحيفة عمرو بن عبيد (المعتزلي)[٩٤]"

وكان الإمام أحمد لا يرى الكتابة عمن أجاب في فتنة خلق القرآن، وممن أجاب :علي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبو كريب محمد بن العلاء، وأبو معمر القطيعي، وأبو نصر التمار؛ فمن الناس بعدهم ! وهم إنما أجابوا فتنة واضطرارًا، لا عقيدة واختيارًا فهذا أحدهم وهو أبو معمر القطيعي من شدة تمسكه بالسنة يقول :" لو تكلمت بغلتي، لقالت: إنها سنية" لكنه أُمتحن وأُخذ في محنة القول بخلق القرآن، فأجاب، فلما خرج، قال:" كفرنا وخرجنا[٩٥] " وقال أبو حاتم الرازي عن إسحاق بن أبي إسرائيل: "وقف في القرآن فوقفنا عن حديثه، ولقد تركه

---

(٩٢) السير (٩٤/٧)، وينظر :سؤالات الآجري (٢٨٤/١).

(٩٣) تاريخ بغداد (٩/ ١٣٣)

(٩٤) السير (٤٢٨/٧).

(٩٥) تاريخ بغداد(٦/ ٢٧١) ،والسير (٧٠/١١)، وقال الإمام أحمد بن حنبل:"لو حدثتُ عمن أجاب في المحنة، لحدثت عن اثنين: أبو معمر، وأبو كريب، أما أبو معمر، فلم يزل بعد ما أجاب يذم نفسه على إجابته وامتحانه، ويُحَسّن أمر من لم يجب، وأما أبو كريب، فأُجري عليه ديناران، وهو محتاج، فتركهما لما علم أنه أجري عليه لذلك" السير (٣٩٥/١١)، والبعض يسمع من هؤلاء اضطرارًا؛ قال أبو حاتم عن شيبان بن فرُّوخ البصري مُسند عصره : "كان يرى القدر، واضطر الناس إليه بأخرة –يعني: أنه تفرد بالأسانيد العالية– "السير (١٠٢/١١)، وكم أظهر البعض أسفه على فوات التحديث عن مثل هؤلاء، واضطر أن يروي عنهم بواسطة.

الناس حتى كنت أمر بمسجده وهو وحيد لا يقربه أحد بعد أن كان الناس إليه عنقًا واحدًا [٩٦]"وكان الحُجاج من أهل بغداد يسألون الإمام أحمد عمن نكتب في طريقنا ؟ فيقول: "عليكم بهناد، وبسفيان بن وكيع، وبمكة ابن أبي عمر، وإياكم أن تكتبوا يعني: عن أحد من أصحاب الأهواء قليلًا ولا كثيرًا، عليكم بأصحاب الآثار والسنن[٩٧]"

ولما قدم معاذ بن هشام الدستوائي البصري مكة جلس للتحديث فقال الحميدي :"لا تسمعوا من هذا القدري شيئًا [٩٨]"

وإن من يقرأ في سير بعض القوم في زهدهم وورعهم في المطاعم والمشارب والتقاضي وما يتبع ذلك لايستبعد ورعهم وزهدهم في رواة خالفوا طريقة السلف [٩٩].

وليس البحث هنا عن حكم الرواية عن أهل البدع فكتب السنة مليئة بالرواية عنهم، إنما قصد المحدثين في النهي عن السماع منهم عدم إشهارهم مع وجود غيرهم، وقد قال علي بن المديني:" قلت ليحيى القطان : إن عبد الرحمن بن مهدي قال: أنا أترك من أهل الحديث كل من كان رأسًا في بدعة، فضحك يحيى، وقال: كيف تصنع بقتادة؟ كيف تصنع بعمر بن ذر؟ كيف تصنع بابن أبي رواد؟ وعد يحيى قوما أمسكت عن ذكرهم، ثم قال يحيى: إنْ ترَك هذا الضرب، ترك حديثاً كثيرًا [١٠٠]".

٤-بعضهم يترك السماع من الشيخ لضعفه وعدم ضبطه؛ قال يحيى بن سعيد القطان:" قدم شريك مكة، فقيل لي: لو أتيته؟ فقلت:لو كان بين يدي ما سألته عن شيء، وضعف حديثه جدًا[١٠١]" وقال أيضًا: رأيت

(٩٦) السير (٣٩٥/١١)، وقال عنه الإمام أحمد :"واقفي مشؤوم، إلا أنه كيس صاحب حديث". والوقف أن يقول القرآن كلام الله ويقف فلا يقول مخلوق ولا غير مخلوق.

(٩٧) السير (٢٣١/١١).

(٩٨) السير (٩/ ٣٧٢).وينظر أمثلة أخرى : سؤالات الآجري رقم (٤٣٤)،والسير(١٣٨/٧)(٢٨٦/٧)(١١/٩)(٢٦/٩)(٣٣٣/٩).

(٩٩) ينظر السير (٣٩٦/٧).

(١٠٠) تاريخ دمشق (٢٠/٤٥)، والسير (٣٨٧/٦).

(١٠١)تاريخ بغداد (٣٨٩/١٠).

الحجاج بن أرطاة بمكة فلم أحمل عنه شيئًا ولم أحمل أيضًا عن رجل عنه[١٠٢]"

وقال الإمام مالك:" لقد أدركت بالمدينة أقواما لو استسقى بهم القطر لسقوا وقد سمعوا من العلم والحديث شيئًا كثيرًا وما أخذت عن واحد منهم، وذلك أنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن يعني الحديث والفتيا يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة واتقان وعلم وفهم ويعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدًا في القيامة، فأما زهد بلا اتقان ولا معرفة فلا ينتفع به، وليس هو بحجة ولا يحمل عنهم العلم[١٠٣]".

وهذا إبراهيم بن أبي يحيى رغم أنه مدني -والمدينة مقصد الكثير حيث الحج وملاقاة الإمام مالك فهو بلديُّه وعصريُّه-ومع كونه كثير الحديث حتى أنه صنف موطًا كبيرًا أضعاف موطأ الإمام مالك، ومع ذلك فالرواة عنه قلة، ولاوجود له في الكتب الستة وأحمد وغيرها، وما ذاك إلا لضعفه وبدعته، حتى من روى عنه ربما دلّسه [١٠٤].

وهذا السبب أيضًا من أكثر الأسباب وقوعًا، خاصة مع الرواة أهل الانتقاء .

٥- بعض المحدثين يكون من الأرقاء ، فهو مشغول بخدمة سيده لا يستطيع السفر والترحال ، وحتى لو كان الشيخ في نفس البلد فقد لا يسمح له سيده بالانشغال عنه والاشتغال بغيره ، لذا تجد قلة الشيوخ نسبياً لمن كان من هؤلاء الموالي ممن عاش طيلة عمره في الرق ، وقد قال حصين بن عبدالرحمن السلمي:" ما كان بيني وبين أن ألقى ابن عباس إلا سبعة دراهم أو تسعة دراهم ، فكان عكرمة يسمع منه ثم يجئ فيحدثني [١٠٥]"كما أنه في المقابل إذا كان السيد محدثاً فسيكون هذا الرقيق ملازماً له عارفاً بأحاديثه كما قيل في نافع مولى ابن عمر، وعكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم.

المبحث الرابع: عدم السماع بسبب وقت السماع وظرفه بالنسبة للشيخ:

(١٠٢) ضعفاء العقيلي (٢٨٠/١) قال ابن المديني مبينًا سبب ذلك :"كان عنده مضطربا".

(١٠٣)إسعاف المبطأ (١٢).

(١٠٤) السير (٤٥٠/٨)، وينظر أمثلة في علل أحمد (٤٥٥٣) وما بعده، وسؤالات الآجري (ص: ١٣٢) وتاريخ بغداد (٢٠٥/١٠-٣٩٢)، والسير (٤١٩/١٠)(٤٦٥/١٠)، وأمثلته كثيرة جدًا.

(١٠٥)الرحلة في طلب الحديث (١٧٤) قال محققه د.نور الدين عتر رحمه الله :"أي أنه كان عبداً ،وكان يكتسب كي يفك نفسه من الرق ،ليتفرغ لتحصيل العلم ،فلم يتمكن من لقاء ابن عباس لاشتغاله بذلك ، وحين شارف على افتكاك رقبته إذ بقي عليه دراهم معدودة ، مات ابن عباس .." ولم يذكر أحدٌ ممن ترجم لحصين أنه كان رقيقاً .

فيلتقي الطالب بالشيخ في وقت لايتمكن فيه من السماع مع إمكانه على المعنى الذي سبق بيانه في مقدمة البحث، ولهذا صور :

١- أن بعض المحدثين يلتقي بالشيخ في وقت امتنع فيه من التحديث، أو منعه أهله، أو في وقت كان فيه الشيخ مريضًا؛ أو طرأ عليه الاختلاط، ومن ذلك: قال أحمد بن أبي الحواري لأبي بكر بن عياش:" حدثنا، قال:دعونا من الحديث، فقد كبرنا ونسينا، جيئونا بذكر المعاد وبذكر المقابر..[١٠٦]".

وحَبّان بن هلال أبو حبيب الباهلي أدركه البخاري وأبو حاتم إلا أنهما لم يسمعا منه؛ لأنه قطع الرواية قبل موته بسنوات، لذا اضطرا أن يسمعا من تلاميذه، وقد قال الإمام أحمد عن حبان: "إليه المنتهى في التثبت بالبصرة[١٠٧]"، وكذا عبد الله بن داود الخُريبي البصري قطع الحديث قبل موته بأعوام تفرغًا للعبادة، وقد لقيه البخاري ولم يسمع منه، واحتاج إلى الرواية عنه في الصحيح فروى عن مسدد والفلاس ونصر بن علي عنه[١٠٨].

والأوزاعي لم يسمع من ابن سيرين لأنه دخل عليه في مرضه[١٠٩]،وكذا محمد بن فضيل بن غزوان مع منصور بن المعتمر[١١٠]، وحفص بن غياث أصيب بالفالج سنة (١٩٢) فمكث في البيت إلى أن مات سنة (١٩٤) ولم يسمع منه أحد [١١١].

وبعض التلاميذ إذا رأى الشيخ مختلطًا لم يأخذ عنه، قال أبو عمر الحوضي: "دخلت على سعيد بن أبي عروبة أريد أن أسمع منه، وقد اختلط، فسمعته يقول: الأزدُ أزدٌ عريضة، ذبحوا شاةً مريضة أطعموني فأبيت، ضربوني فبكيت، فعلمت أنه مختلط، فلم أسمع منه[١١٢]"وكذا إبراهيم الحربي مع عارم بن الفضل[١١٣] ،وكذا لو سمع من

(١٠٦) السير (٩٢/١٢) وفي (١٤٦/٩) قال :" قد كبرنا ونسينا الحديث، اذهب إلى وكيع "

(١٠٧) السير (٢٣٩/١٠).

(١٠٨) السير (٢٣٩/١٠).

(١٠٩) السير (١١١/٧).

(١١٠) السير (١٧٤/٩).

(١١١) السير (٣٣/٩)

(١١٢) الكفاية للخطيب (١٣٥).

(١١٣) الكفاية (١٣٦).وينظر أمثلة أخرى :ميزان الاعتدال (١٤٠/٢)، والكواكب النيرات (٢٦٠)

الشيخ فلم يفهم عنه فهو سماع كالعدم، كما وقع مع عبدالوارث بن سعيد البصري في سماعه من عمرو بن دينار بمكة(١١٤).

٢- أن يلتقي بالشيخ أو يقدم إلى بلده لكن يكون الشيخ مسافرًا أو محبوسًا أو متخفيًا أو هاربًا من الفتن، قال العجلي عن بكير بن الأشج :" ثقة مدني، لم يسمع منه مالك شيئًا، خرج إلى مصر قديما فنزل بها(١١٥)"

وسأل البرذعيُّ أبا زرعة:"لقيتَ إسماعيل بن أبي أويس؟ فقال:دخلت المدينة ثلاث مرات،وهو حي،ولم يقدر لي أن أكتب عنه شيئًا، قلت: وكيف ذاك؟قال:كان مرة عليلًا، ومرة متواريًا، وكان مرة غائبًا(١١٦)"،

والربيع بن أنس البصري سجنه أبو مسلم الخراساني تسعة أعوام، وتحيل ابن المبارك حتى دخل إليه، فسمع منه(١١٧).

وجمع من المحدثين إذا أُمروا بتولي القضاء والولايات اختفوا، أو إذا طلبوا للامتحان في مسألة ما هربوا حتى يخف الطلب عليهم، فقد يكون التقاء الطالب بهم في هذا الوقت فلا يتمكن من السماع، قال يونس الصدفي:"عُرض على ابن وهب القضاء، فجنن نفسه، ولزم بيته(١١٨)"،ولما دعا أبو جعفر المنصور شريكًا إلى تولي القضاء، طلب الإعفاء فأبى، قال له شريك: فأنصرف يومي هذا، وأعود، فيرى أمير المؤمنين رأيه، قال: تريد أن تتغيب؟ ثم هدده وتوعده(١١٩)"

(١١٤) السير (٨ / ٣٠١).لذا قال الذهبي :" ما أظنه روى عنه " وينظر أمثلة أخرى : علل أحمد (٤٥٥٤) ، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٧/ ١٨٢).

(١١٥) السير (٦/ ١٧١) وفي التهذيب(٤٩٣/١) قال علي بن المديني :" أدركه مالك ، و لم يسمع منه ، و كان بكير سيء الرأى فى ربيعة ، فأظنه تركه من أجل ربيعة "

(١١٦) أجوبة أبي زرعة (٧٧٥/٢).

(١١٧)السير (٦/ ١٧٠).

(١١٨) السير (٢٣٣/٩)

(١١٩) السير (٢١٣/٨)

وذكر ابن المديني أن سفيان الثوري اختفى مدة سنة لما طلبه المهدي، وخرج إلى مكة، فنفذ المهدي إلى واليه على مكة في طلبه، فتوارى سفيان، وأمر الوالي مناديا فنادى بمكة:من جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متواريا بمكة، لا يظهر إلا لأهل العلم، ومن لا يخافه، فلما خاف من الطلب بمكة، خرج إلى البصرة..[١٢٠]"

المبحث الخامس: عدم السماع بسبب وقت السماع وظرفه بالنسبة للتلميذ:

ولهذا صور منها :

١-أن يكون لقاؤه بالشيخ في وقت لم يتهيأ الطالب بعدُ للطلب، إما لصغره، وإما لانشغاله بعلوم أخرى، فقد كان المحدثون يبدؤن في طلب العلم بأمور قبل الحديث من حفظ القرآن ومعرفة فروض الأحكام[١٢١]، فالبعض لا يبدأ بطلب الحديث إلا في سن العشرين ،وبعضهم في سن الثلاثين، قال موسى بن إسحاق القاضي: "كان أهل الكوفة لا يخرجون أولادهم في طلب الحديث صغارًا، حتى يستكملوا عشرين سنة". وقال موسى بن هارون الحمّال:"أهل البصرة يكتبون لعشر سنين، وأهل الكوفة لعشرين،وأهل الشام لثلاثين[١٢٢]"ولعل من هذا قول جرير بن عبدالحميد الكوفي:"ما أخذت سماعي من أبي الأحوص إلا بعد ثلاثين سنة [١٢٣]"

وقول الحمّال والقاضي يُحمل على أن هذا هو السَنن العام خاصة في وقتهما فكلاهما توفي قريبًا من سنة (٣٠٠) فلا يلزم أن يكون الأمر على هذا قبلُ، فيوجد من يطلب قبل هذا السن، بل بعضهم كان من أهل الإمامة والفتوى والحديث ولما يبلغ الثلاثين، والمقصود أن بعض الرواة الصغار نسبيًا يكون مع المحدث في بلده ولم يسمع منه لأنه لم يتهيأ بعدُ لطلب الحديث، قال الرامهرمزي:" وقد دل قول الزهري:"ما رأيت طالبا للعلم أصغر من ابن عيينة" على أن طلاب الحديث عصر التابعين كانوا في حدود العشرين[١٢٤]"

وقال نعيم بن حماد:"سمعت ابن عيينة يقول:لقد أتى هشام بن حسان عظيمًا بروايته عن الحسن ,قيل لنعيم:

---

(١٢٠) تنظر قصته في السير (٧/ ٢٤٤- ٢٦٦ – ٢٧٩).

(١٢١)ينظر : الجامع لآداب الراوي (١/١٠٦).

(١٢٢) شرح التبصرة والتذكرة للعراقي (١/٣٨١).

(١٢٣)علل أحمد (٥٠٢٥)، وأبو الأحوص سلام بن سليم الكوفي ت (١٧٩)

(١٢٤)المحدث الفاصل (١٨٥).وكان عُمر ابن عيينة حين سماعه من الزهري (١٥) سنة .

لم؟ قال:لأنه كان صغيرا" قال الخطيب معلقًا:"قَلَّ من كان يكتب الحديث على ما بلغنا في عصر التابعين , وقريبا منه , إلا من جاوز حد البلوغ وصار في عداد من يصلح لمجالسة العلماء ومذاكرتهم وسؤالهم (١٢٥)" ولما أراد ابن جريج السماع من عطاء بن أبي رباح، أُمر قبلُ بقراءة القرآن وتعلم الفرائض فذهب زمناً قال" ثم جئت، فقال: الآن فاطلب العلم، فلزمت عطاء سبع عشرة سنة(١٢٦)"

لذا كان بعض المحدثين يمتنع من التحديث للصغار، قال الحسن بن عرفة: "قدم ابن المبارك البصرة، فدخلت عليه وسألته أن يحدثني،فأبى وقال: أنت صبي، فتشفع بحماد بن زيد قال :وخرج معي يتوكأ على يدي حتى دخلنا على ابن المبارك، فجلس معه على السرير وتحدثا ساعة، ثم قال له حماد: يا أبا عبد الرحمن، ألا تحدث هذا الغلام،فقال:يا أبا إسماعيل، هو صبي لا يفقه ما يحمله، فقال له حماد: يا أبا عبد الرحمن، حدثه فلعله والله أن يكون آخر من يحدث عنك في الدنيا فحدثه،وكان كذلك (١٢٧)"

وقال الخطيب عن أحمد بن صالح المصري:"بلغني أنه كان لا يحدث إلا ذا لحية ولا يترك أمرد يحضر مجلسه(١٢٨)"

وترى هذا أحياناً في عدم اتصال رواية الابن عن أبيه لتأخر عنايته بالسماع منه، أو عدم تمييزه ؛ قال إبراهيم بن حميد الطويل :" مات أبي سنة ثلاث وأربعين –أي ومائة–، ولم أسمع منه، وأنا ابن عشر أو نحوها (١٢٩)" وقال الذهبي عن محمد بن إسماعيل ابن علية "مات أبوه وهو صبي، فما لحق الأخذ عن أبيه (١٣٠)"

وقال ابن معين عن سعيد بن المسيب :" قد رأى عمر وكان صغيرًا " قال الدوري: "يقول ولدت لسنتين

(١٢٥)الكفاية (٥٤).

(١٢٦)ينظر السير (٣٢٧/٦).

(١٢٧) فتح المغيث، للسخاوي (١٣٨/٢)، وينظر :تهذيب الكمال (١٤/١٦).

(١٢٨) تاريخ بغداد(٣١٩/٥)وفيه أن أباداود أحضر ابنه ليسمع منه فأبى عليه، فقال أبو داود:" هو وإن كان أمرد أحفظ من أصحاب اللحى، فامتحِنه بما أردت، فسأله عن أشياء أجابة ابن أبي داود عن جميعها، فحدثه حينئذ ولم يحدث أمرد غيره"

(١٢٩) السير (١٦٨/٦).وينظر أمثلة أخرى :المراسيل (١٢٦).

(١٣٠) السير(١١٢/٩)،وينظر:السير (٣٥١/٩).

مضتا من خلافة عمر فقال منكراً: ابن ثمان سنين يحفظ شيئًا [١٣١]"مع أنه قد ثبت عنه بسند صحيح قوله :"إني لأذكر يوم نعي عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن على المنبر[١٣٢]" لكن مثل هذا الخبر يتحمله ابن ثمان سنين فليس حديثًا عابرًا إنما رأى فعلًا وقولا يرسخ في البال ففي بعض الروايات أن عمر رضي الله عنه:"خرج فنعاه إلى الناس على المنبر، ووضع يده على رأسه يبكي[١٣٣]" وكان هذا الحدث أيضًا في أخريات حياة عمر فقد توفي النعمان قبل سنتين من وفاة عمر رضي الله عنهما[١٣٤] .

ثم بعد ذلك لما استقر تدوين السنة وكان التحمل لها قد يكون عن طريق الإجازة كثر إحضار الصغار مجالس التحديث وكتابة التسميع لهم[١٣٥].

٢- أن البعض ربما طلب الحديث على كبر فربما التقى بجمع من المحدثين في وقت لم يكن وقتها طالبًا، فلما طلب وإذا هم قد ماتوا، قال ابن أبي ذئب:" لو طلبته وأنا صغير كنت أدركت مشايخ فرطت فيهم، وكنت أتهاون بهذا الأمر حتى كبرت وعقلت[١٣٦]".

وقال شعبة:-وكان أول أمره مشغولًا بالشِّعر-"لولا الشعر، لجئتكم بالشعبي[١٣٧]".

وهذا أصبغ بن الفرج المصري ولد سنة(١٥٠) والحارث بن مسكين المصري ولد سنة(١٥٤) أدركا الليث بن سعد ت(١٧٥)،وابن لهيعة ت(١٧٤) ولم يسمعا منهما لتأخرهما في الطلب،وسمعا من ابن وهب ت(١٩٧)، وعبدالرحمن بن القاسم ت(١٩١)[١٣٨].

---

(١٣١) تهذيب الكمال (٤٦١/٢٩).

(١٣٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٦١٠)،وملخص من مسند عمر ليعقوب بن شيبة (ص: ٣٦)وفيه قال مسدد: "كان عمر سعيد يومئذ سبع سنين"

(١٣٣) الاستيعاب (١٥٠٦/٤) ، والإصابة (٣٥٧/٦) .

(١٣٤) المرجع السابق .

(١٣٥)ينظر السير (٣٩٦/٦).

(١٣٦)تاريخ بغداد (٥١٥/٣).

(١٣٧) تاريخ بغداد (٣٥٣/١٠).

(١٣٨) ينظر : السير(٦٥٦/١٠) (٥٤/١٢).

بل قال أصبغ:"خرجت إلى مكة، سنة تسع وسبعين للسماع من مالك، فدخلت المدينة فلم ألق إلا باكيًا، أو مسرجًا،أو ضاربًا يدًا على أخرى،أو مُحدة، فقلت لبعضهم ما شأن الناس لم يكلمني أحد؟وجعلت كل ما لقيت فوجًا أسأله حتى قال لي رجل جالس متقنع يبكي وقد رأى حالي غريبًا: أراك غريبًا؟ قلت: نعم، الساعة دخلت،قال لي: مات اليوم عالم المشرق والمغرب،قلت يرحمك الله، ومن هو؟قال لي:أراك جاهلًا؛ أقول لك عالم المشرق والمغرب،فتقول:ومن هو؟فاسكتني، فلما نظر لي وقد وجمت قال: مات مالك بن أنس،قال:فصحت مات مالك! ومضيت مع الناس إلى منزله..فحضرت جنازته(١٣٩)".

وهذا عبيدالله القواريري البصري ثم البغدادي ولد سنة (١٥٢) قال عنه الذهبي:"ولم يكتب القواريري الحديث إلا على كبر من السن، ولو أنه بكر بالطلب،لسمع من جرير بن حازم (البصري) ت(١٧٠) وأقرانه، ولكن السماع واللقاء مقدر(١٤٠)"

وما يُقال عن التلميذ يقال عن الشيخ بمعنى أن الطالب قد يلتقي بالشيخ قبل أن يجلس للتحديث،قال حميد بن الربيع:"رأى حسين الجعفي كأن القيامة قد قامت،وكأن مناديا ينادي: ليقم العلماء،فيدخلوا الجنة،قال: فقاموا،وقمت معهم، فقيل لي:اجلس،لست منهم، أنت لا تحدث،قال: فلم يزل بعدُ يحدث بعد أن كان لا يحدث(١٤١)"

وقيل للقعنبي:"حدثت، ولم تكن تحدث! قال:إني أريت كأن القيامة قد قامت، فصيح بأهل العلم، فقاموا وقمت معهم، فنودي بي: اجلس، فقلت: إلهي! ألم أكن أطلب؟ قال:بلى، ولكنهم نشروا، وأخفيته قال:فحدثت(١٤٢)".

٣- وفرة المحدثين وتعدد حلق العلم ومجالس التحديث فقد يسمع من البعض ويفوته البعض؛ فمثلًا في مكة كان فيه من المحدثين في وقت واحد سادات التابعين وهم عطاء بن أبي رباح، وسعيد بن جبير، ومجاهد بن جبر، وطاووس بن كيسان، وعبيد بن عمير الليثي، وابن أبي مليكة، وعمرو بن دينار، وأبو الزبير المكي، وغيرهم، وقد

(١٣٩) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٤/ ٢٠).

(١٤٠) السير (١١/٤٤٥)

(١٤١)السير (٩/٣٩٩)

(١٤٢)السير (١٠/٢٦١) وينظر أمثلة أخرى (١١/٤٦٣)(١١/٥٠١).

دخل الخليفة عبد الملك بن مروان المسجد الحرام، فرأى حلق العلم والذكر، فأعجب بها، فأشار إلى حلقة، فقال:لمن هذه الحلقة؟ فقيل لعطاء ونظر إلى أخرى، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لسعيد بن جبير ونظر إلى أخرى، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لميمون بن مهران ونظر إلى أخرى، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لمكحول، ونظر إلى أخرى، فقال: لمن هذه؟ فقيل: لمجاهد(١٤٣)"

وفي المدينة: الفقهاء السبعة كانوا في عصر واحد وكانوا أهل رواية .

وفي البصرة مثلاً كان فيها جمع من المحدثين في وقت واحد كيزيد بن زريع،وحماد بن زيد،وعبد الوارث بن سعيد،ومعتمر بن سليمان،وعبد الواحد بن زياد،وجعفر بن سليمان،ووهيب بن خالد،وخالد بن الحارث،وبشر بن المفضل،وإسماعيل بن علية(١٤٤).

ويُتصور هذا بصورة أوضح في صاحب الرحلة حين يقدم بلدًا زاخرًا بالمحدثين، فمقامه في البلد محدود، بل ترى هذا ظاهرًا في مجالس السماع في المناسبات كموسم الحج؛قال محمد بن الفضل البزاز:"سمعت أبي يقول:حججت مع أحمد بن حنبل ونزلت في مكان واحد معه، أو في دار يعني بمكة، وخرج أبو عبد الله باكرًا وخرجت أنا بعده، فلما صليت الصبح درت المسجد فجئت إلى مجلس سفيان بن عيينة، فكنت أدور مجلسًا مجلسًا طلبًا لأبي عبد الله حتى وجدته عند شاب أعرابي وعليه ثياب مصبوغة،وعلى رأسه جمة فزاحمت حتى قعدت عند أحمد بن حنبل فقلت:يا أبا عبد الله تركت ابن عيينة وعنده الزهري وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعين ما الله به عليم فقال لي:اسكت فإن فاتك حديثٌ بعلو تجده بنزول لا يضرك في دينك ولا في عقلك أو في فهمك، وإن فاتك عقل هذا الفتى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة،ما رأيتُ أحدًا أفقه في كتاب الله من هذا الفتى القرشي قلت: من هذا؟ قال:محمد بن إدريس الشافعي(١٤٥)".

---

(١٤٣)المحدث الفاصل (٢٤٢).

(١٤٤) السير (٢٩٦/٨).

(١٤٥) الجرح والتعديل (٢٠٣/٧)، وتاريخ دمشق (٣٣١/٥١) وقال الحميدي:"قلت لأحمد بن حنبل: الليلة يقعد سفيان بن عيينة، فقال: الليلة يقعد الشافعي، قلت: سفيان بن عيينة يفوت والشافعي لا يفوت، قال: الشافعي يفوت، وابن عيينة لا يفوت،قال فحضرنا مجلس الشافعي.. تاريخ دمشق (٣٣٢/٥١)، وقول الحميدي:" سفيان يفوت والشافعي لا يفوت" لأن ابن عيينة أكبر من الشافعي بأربعين سنة تقريبًا بل هو شيخ الشافعي، وهذا ماجعل البزاز يقول في النص السابق:"تركت ابن عيينة

وقال إسحاق بن راهويه:"كنا بمكة..فقال لي أحمد بن حنبل:يا أبا يعقوب جالس هذا الرجل- يعني الشافعي- قلت:ما أصنع به سنه قريب من سننا؛ أترك ابن عيينة والمقرئ؟ قال:ويحك إن ذاك لا يفوت وذا يفوت، فجالسته[١٤٦]"والمقصود أن المحدث قد يلازم أحد المحدثين على حساب آخرين، وإلا فقد سمع أحمد من ابن عيينة وأكثر عنه ، وقد التقى به في أربع حجج، وأقام سنة بمكة في حياة ابن عيينة[١٤٧]، ولم يلتق بالشافعي إلا مرتين مرة حين قدومه بغداد، ومرة في الحج[١٤٨].

ومن الأمثلة على تعدد المجالس في الموسم:قال أحمد بن سيار المروزي، عن صالح بن سفيان:"لما قدم وكيعٌ مكة انجفل الناس إليه،وحج تلك السنة غيرُ واحد من العلماء،وكان ممن قدم عبد الرزاق، فخرج ونظر إلى مجلسه فلم ير أحدًا،فاغتم لأجل ذلك وجعل يدخل ويخرج حتى رأى رجلا، فقال:ما للناس؟ قال: قدم وكيع بن الجراح فحمد الله، وقال: ظننت أنهم تركوا حديثي، قال:وأما أبو أسامة -يعني حماد بن أسامة- فخرج فلم ير أحدا، فقال:أين الناس؟ فقالوا:قدم أبو سفيان-يعني وكيعًا- فقال: هذا التنين لا يقع في مكان إلا أحرق ما حوله..[١٤٩]"

٤- عدم معرفته بالشيخ وقتها خاصة في اللقاءات العارضة كأن يكون مجتازًا، أو في رحلة الحج، قال سعد بن إبراهيم المدني لابن شهاب الزهري:" من أبو الأحوص؟ قال: أما رأيت الشيخ الذي بمكان كذا وكذا، يصفه "وأبو الأحوص مولى بني ليث، لم يرو عنه إلا الزهري[١٥٠].

وقال عبد الرحمن بن مهدي:" بينما نحن بمكة نتذاكر إذ جاء واحد فجلس إلينا قليلًا قليلًا فسمع حديثنا

وعنده الزهري وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة والتابعين "فأسانيد سفيان عالية .

(١٤٦) الجرح والتعديل (٢٠٢/٧)

(١٤٧) العلل برواية عبدالله (١٣٩/٣).

(١٤٨) وثالثه حصل الوعد لكن لم يتحقق قال الشافعي: " وعدني أحمد بن حنبل أن يقدم عليّ مصر فلم يقدم، قال ابن أبي حاتم: يشبه أن تكون خفة ذات اليد حالت بينه وبين الوفاء بالعدة" الجرح والتعديل(٢٠٣/٧)، وتاريخ دمشق(٣٣٠/٥١).

(١٤٩) تهذيب الكمال (٤٧٩/٣٠) وحكاية أخرى تفيد أن من تلك الحلق حلقة عبيدالله بن موسى فلما جاء وكيع تركوه فقيل له أين طلابك؟ فقال:"قدم التنين فأخذهم، قدم وكيع بن الجراح، وتركوني وحدي" وكان وكيع رحمه الله قد أوتي بسطة في العلم والجسم فقد كان سمينًا ضخمًا، السير (٩/ ١٤٦).

(١٥٠) علل أحمد (١٥٨)(٢٣٤٦)،والتهذيب(٥/١٢).

فقلنا من أنت؟ قال أنا معاوية بن صالح فانكببنا عليه وانكب الناس(١٥١)".

وأبو عوانة كان يسلم على سفيان الثوري بمكة، إلا أن الثوري لم يكن يعبأ به، فكلم في ذلك لما ذهب إلى البصرة فقال:لم أعرفه(١٥٢).

وابن جريج قال لابن عيينة:" هل سمعت من الأزرق الطوال يصف سليمان بن موسى؟ وكان قدم مكة للحج قال ابن عيينة:" فأردت أن أخرج في طلبه فقيل خرج منذ ثلاثة أيام(١٥٣)".

وقال أبو حاتم:"رأيت قتيبة بمكة يجئ ويذهب ولا يُكتب عنه فقلت لأصحاب الحديث: كيف تغفلون عن قتيبة وقد رأيت أحمد بن حنبل في مجلسه؟ فلما سمعوا مني أخذوا نحوه وكتبوا عنه(١٥٤)".

وقال نوح بن حبيب القُومَسي:" رأيت أحمد بن حنبل في مسجد الخيف سنة ثمان وتسعين ـــ ومائه ـــ وابن عُيَينة حي وهو يفتي فتيا واسعة،فوقفت عليه ولم أكن عرفته قبل ذلك، فقلت لرجل من هذا؟ قال: أنت غريب؟ قلت: نعم، قال:هذا أحمد بن حنبل، فانتظرته حتى تفرَّق الناس، ثم أخذت بيده فسلمت عليه(١٥٥)"

كما أن بعض المحدثين لا يُوحي مظهره بأنه صاحب حديث فهو أبعد في الجهالة، فهذا جرير بن عبدالحميد الضبي قال عنه ابن عمّار:"ماكان زيّه زيّ محدث.." وقال عن القطان :"كنت إذا نظرت إلى يحيى القطان، ظننت أنه لا يحسن شيئا بزي التجار، فإذا تكلم أنصت له الفقهاء(١٥٦)"

٥- ارتباط المحدث برفقته فربما أعجلوه المسير قبل أن يقضي نهمته من السماع، أو قبل أن يتمكن من اللقاء،

---

(١٥١) سؤالات أبي داود للإمام أحمد (١٢٥)، وتهذيب الكمال (١٢٩/٢٨)ومعاوية هو الحمصي الأندلسي ولم يحج إلا هذه الحجة.

(١٥٢) السير (٢٤٥/٧).

(١٥٣) التاريخ الأوسط (٣٢١/١)،وتاريخ دمشق (٣٨١/٦)وقد قال عطاء بن أبي رباح:"سيد شباب أهل الشام سليمان بن موسى"وكانوا يجتمعون على عطاء في المواسم، فكان سليمان بن موسى هو الذي يسأل لهم." علل أحمد (٥٠٢٦)(٢١٠٨).

(١٥٤) الجرح والتعديل(٢٩٩/١)

(١٥٥) المناقب لابن الجوزي (٢٤٣)،والسير (٣٠٩/١١)،وكان عمر أحمد وقتها (٣٤) سنة، وينظر مثال آخر:تاريخ بغداد (٤٨١/١٤)،وتنظر أمثلة أخرى:تاريخ دمشق(١٧٩/٣٦)،والتهذيب (٣١٤/٦)

(١٥٦) السير (١٧٩/٩) لعل العبارة :"يتزيا بزي التجار" ، وينظر مثال آخر :السير (١١/٩-١٢)

فصاحب الرحلة أو الحاج في ذاك الزمن يقدم مع وفد من قومه وعشيرته–ذلك أن رحلته أو حجه منفردًا مظنة الضياع والهلاك خاصة القادم من بلاد بعيدة(١٥٧)– فليس هو أمير نفسه فربما أعلنت القافلة الرجوع ولما يتزود من المحدثين، أو يكون المسير على غير ما أراد؛فهذا حسان بن سنان الأنباري (ت١٨٠) قدم مع وفد من قومه إلى واسط فرأى الصحابي الجليل أنس بن مالك رضي الله عنه ولم يكن لقي صحابيًا قبله، فسمع منه حديثًا قال:" وأعجلني أصحابي فلم أسمع منه غيرَ هذا الحديث(١٥٨)" فرغم أنه الصحابي الوحيد الذي لقيه، ومع ذلك لم يسمع منه إلا حديثًا واحدًا، لارتباطه برفقته، ومن ذلك ما حصل مع الإمام أحمد حيث قال:"أول سنة حججت سنة سبع وثمانين، كنت أمشي ولم يقدر دخول المدينة –يعني: تلك السنة– وكانت معي أطراف لأبي علقمة الفروي، فلم يقدر أن أسمع منه شيئا(١٥٩)"، وقال الذهبي في سبب عدم سماع الذهلي –وكان حينها في البصرة–من سفيان بن عيينة –وكان في مكة– :" ما كان يمكنه لقيه، فإن سفيان مات في وسط السنة، ولا كان يمكنه المسير إلى مكة إلا مع الوفد(١٦٠)"

٦– أن يسمع من شيخ أحاديثه فيستغني بها عن السماع من شيخ يروي تلك الأحاديث، لاسيما حين يكون وقته محدودًا كما في الرحلة فيختار أوثق من يروي عن ذلك الشيخ ثم يقصد شيخًا آخر عنده أحاديث أخرى، قال عبد الرحمن بن مهدي: "كنت أسمع الحديث من ابن عيينة فأقوم فأسمع شعبة يحدث به فلا أكتبه(١٦١)"مع أن شعبة أكبر من سفيان بعشرين سنة، ذلك أن سفيان أعلم الناس بحديث أهل الحجاز(١٦٢).

ولعل من هذا أن الإمام أحمد سمع من عبدالرزاق في رحلته المعروفة بينما لم يسمع من هشام بن يوسف

(١٥٧) وقد ورد النهي عن سفر الإنسان وحده، والظن أن هذا يُحمل على مثل تلك الأسفار حين يكون الإنسان معرضًا للأخطار. ينظر سنن أبي داود (٢٦٠٧) ، والترمذي (١٦٧٤).

(١٥٨) تاريخ بغداد (١٧٢/٩).

(١٥٩)العلل ومعرفة الرجال(١٣٣٨)، وأبو علقمة هو عبد الله بن محمد القرشي الأموي المدني (ت١٩٠) قال عنه علي بن المديني:"هو ثقة، ما أعلم أني رأيت بالمدينة أتقن منه "وقد عُمّر مائة سنة. ينظر التهذيب (١٠/٦).

(١٦٠) السير (٢٧٦/١٢).

(١٦١) المعرفة والتاريخ (٨/٣)، وتاريخ بغداد (٢٥١/١٠).

(١٦٢) فقد قال عنه ابن مهدي نفسه: "كان أعلم الناس بحديث أهل الحجاز" التهذيب (١٢٠/١١).

الصنعاني وهو من أقران عبدالرزاق(١٦٣).

والبخاري لم يخرج لأبي داود الطيالسي شيئًا؛ لأنه سمع من عدة من أقرانه كابن مهدي والقطان، فما احتاج إليه (١٦٤).

وقد قال الخطيب:"فإن تكافأت أسانيد جماعة من الشيوخ في العلو،وأراد الطالب أن يقتصر على السماع من بعضهم فينبغي أن يتخير المشهور منهم بطلب الحديث المشار إليه بالإتقان له والمعرفة به(١٦٥)"

وقد ذكروا في آداب الرحلة أن يكون اهتمام الطالب بتكثير المسموع من الحديث أكثر من اعتنائه بتكثير الشيوخ والأسانيد لأن المقصود الأصلي هو الدراية لا مجرد الرواية، نعم قد يحتاج إلى تكثير الرواية لتصحيح الدراية(١٦٦).

٧-ازدحام الناس على المحدث فلا يتمكن الطالب من السماع ،قال أبو مصعب الزهري:"كانوا يزدحمون على باب مالك فيقتتلون على الباب من الزحام"

وقال أحمد عن أحد شيوخه:" ثم كثر عليه الناس حتى غلبونا عليه وكثر الزحام حتى ما وصلنا إليه(١٦٧)"

وهذا محمد بن عُبيد الطنافسي الكوفي قدم بغداد مدة وحدث بها، ثم رجع إلى الكوفة، قال ابن معين: "أتيته يعني:حين قدم بغداد، وقد كنتُ أبطأتُ عنه فلما أتيتُه، وقد كان الناس كثروا، فقال- مخاطبًا ابن معين -:

أنشأتَ تطلبُ وصلنا ... في الصيف ضيعتَ اللبن(١٦٨)"

وبعض مجالس المحدثين يكون الحضور كثيرًا جدًا فلا يستطيع البعيد السماع، وربما يكون المجلس عارضًا كأن يفد المحدث إلى هذا البلد فيُعقد له هذا المجلس ويرحل، فهذا عاصم بن علي الواسطي حدث في جامع الرُّصافة

---

(١٦٣)السير (٩/٥٨٠).

(١٦٤) السير (٩/٣٨٣). وأبو داود ثقة إلا أنه يقع في أخطاء لكونه كان يتكل على حفظه، ولا يروي من كتابه. السير (٩/٣٨٣).

(١٦٥) الجامع لأخلاق الراوي (١/١٢٦).

(١٦٦)ينظر شرح شرح نخبة الفكر للقارئ (٨١٠).

(١٦٧) علل أحمد (٢٦٥١)

(١٦٨) تاريخ بغداد (٣/٦٣٧).

ببغداد فوجه المعتصم من يحزر مجلسه وكان يجلس على سطح.. حتى أنه مرة قال: حدثنا الليث بن سعد،ويستعاد فأعاد أربع عشرة مرة، والناس لا يسمعون، وكان هارون المستملي يركب نخلة معوجة يستملي عليها، وحزر المجلس فبلغ عشرين ومائة ألف(١٦٩)، وبعضهم يكون عنده أربعة إلى ثمانية مستملين وما ذاك إلا بسبب الكثرة الكاثرة فقد كان ذلك العصر عصر الحديث والرواية، فالزحام قد يكون عائقًا عن السماع من الشيخ ،إضافة إلى أن بعضهم قد يكون شديداً في التلقي فلا يرضى إلا أن يسمع من المحدث نفسه،ولا يقبل بالسماع من المستملي. ويُتصور أثر الزحام بصورة واضحة في أيام المواسم كأيام الحج فقد لا يتهيأ عقد المجالس واتخاذ المستملين، فيكون المجلس عارضًا والزحام شديدًا، ولعله من هذا الباب قول سعيد بن أبي عروبة:" رأيت قفا عكرمة(١٧٠)" فسعيد لم يسمع من عكرمة المدني مولى ابن عباس رضي الله عنه.

وقال الحميدي:"جئت يوم الصدر والوليد (بن مسلم) في المسجد بمنى، وعليه زحام كثير وجئت في آخر الناس ووقفت بالبعد،وعلي بن المديني بجنبه فجعلوا يسألونه ويحدثهم ولا أفهم قال فجمعت جماعة من المكيين وقلت لهم:جلبوا وأفسدوا على من بالقرب منه قال فجعلوا يصيحون ويجلبون ويقولون: لا نسمع وجعل علي يقول:اسكتوا نسمعكم قال فاعترضت وصحت.. فتفرقوا ولم يحدثهم بشئ(١٧١)"

والفريابي سمع من الثوري بعض كلامه ثم زحم ولم يسمع الباقي(١٧٢).

وسفيان بن عيينة كانوا يزدحمون عليه في الموسم ازدحامًا عظيمًا حتى أنه في أحد مجالسه أغمي على الإمام أحمد من شدة الزحام(١٧٣).

وأبو جعفر محمد بن هشام بن ملّاس الدمشقي حج سنة (١٩٢)، ولقي ابن عيينة لكنه لم يسمع منه لكثرة الناس عليه(١٧٤).

---

(١٦٩)السير (٩/٢٦٣).

(١٧٠) علل أحمد (٢٩٤٣).

(١٧١) المعرفة والتاريخ (٢/٤٢١). والسير (٩/٢١٥).

(١٧٢)السير (٧/٢٥٣).

(١٧٣)الكامل (٧/٢٩٥).

(١٧٤)السير (١٢/٣٥٤) وكان عمر ابن ملّاس وقتها (١٩) سنة.

ومن طريف حيل السماع في مثل هذا الزحام أن أبا عاصم النبيل قال:" رأيت أبا حنيفة في المسجد الحرام يفتي وقد اجتمع الناس عليه وآذوه فقال: ما ها هنا أحد يأتينا بشرطي؟فدنوت منه فقلت:يا أبا حنيفة تريد شرطيًا؟ قال:نعم؛ فقلت:اقرأ عليّ هذه الأحاديث التي معك، فقرأها فقمت عنه ووقفت بحذائه؛ فقال لي: أين الشرطي؟ فقلت له: إنما قلت تريد لم أقل لك أتي به؛ فقال: انظروا أنا احتال على الناس منذ كذا وكذا وقد احتال علي هذا.."[(١٧٥)].

وقد يكون للزحام أثره على الشيخ فهذا وكيع بن الجراح الكوفي لما قدم الشام، صلى الجمعة بدمشق، ولما سلم الإمام، أطاف الناس بوكيع وازدحموا عليه، فما انصرف إلى أهله إلا في الليل ،قال ابنه مليح :"رأيت في جسد أبي آثار خضرة مما زحم ذلك اليوم[(١٧٦)]".

المبحث السادس: عدم السماع لأسباب سياسية[(١٧٧)] :

كأن يكون وقت هيجان الفتن، واضطراب الأمور والعقول حتى عقول أولى الأحلام والنهى، فالبلدان غير مستقرة، والحروب مدلهمة، والطرق غير مطمئنة، وهذا الجو المضطرب له أثره على مجالس التحديث فقد ينعزل الناس، ويكثر الرصد لأهل العلم والفضل فكلمتهم مسموعة، وتتفاوت تأثير هذه الفتن، ويمكن أن يُمثل لها بفتنة الجمل وصفين، وفتنة عبدالله بن الزبير مع الحجاج الثقفي عام ٧٣هـ، وفتنة ابن الأشعث مع الحجاج الثقفي حتى أن عبدالغني الأزدي المصري ألف جزءًا في المتوارين الذين اختفوا خوفا من الحجاج، وذكر منهم الحسن البصري وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والأعمش[(١٧٨)]،وفتنة سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية عام ١٣٢هـ، وما حصل من جراء ذلك على النواحي التابعة للأمويين، حتى أن أبا العباس السفاح أرسل عمه عبد الله بن علي

(١٧٥) السير (٩/١٤٥).

(١٧٦) تاريخ دمشق (٢٤/٣٦١).

(١٧٧)وهذا في الفتن العامة، وسبق الحديث عن الفتنة الخاصة فقد يقدم التلميذ على الشيخ وقت فراره وهروبه.

(١٧٨) والجزء مطبوع :بتحقيق مشهور حسن سلمان في دار القلم، بيروت ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ

بن العباس لقتال آخر خلفاء بني أمية وهو مروان بن محمد الملقب بالحمار،فتتبعه حتى وصل دمشق وطرده عنها وأخذها بعد أيام،وقتل بها في ثلاث ساعات نحوًا من خمسين ألفا،(١٧٩)فتأمل هذا الأثر لهذه الفتنة.

ومن الفتن فتنة محمد بن عبدالله بن حسن عام (١٤٥) وخروجه على أبي جعفر المنصور حتى استولى على الحجاز،وأرسل أخاه إبراهيم للخروج في العراق، وخرج معه جمع من المحدثين كأبي خالد الأحمر، وهشيم، وعباد بن العوام، وعيسى بن يونس، ويزيد بن هارون، واضطرب فيها أهل العلم فكان عبدالله بن عون ينهى عن الخروج مع إبراهيم، أما غيره فقد قال عبد الوارث بن سعيد :"أتينا شعبة، فقلنا: كيف ترى؟ قال: أرى أن تخرجوا، وتعينوه، فأتينا هشامًا الدستوائي، فلم يجبنا، فأتينا سعيد بن أبي عروبة، فقال: ما أرى بأسا أن يدخل رجل منزله، فإن دخل عليه داخلٌ قاتله " بل إن شعبة رحمه الله كان يقول :"باخمرا بدر الصغرى (١٨٠)"وباخمرا هي الموضع الذي وقع فيها القتال بين جند إبراهيم وجند أبي جعفر، حيث استولى إبراهيم على البصرة ثم قصد الكوفة، وقد خمدت هذه الفتنة بانتصار أبي جعفر على من ناوأه في الحجاز والعراق، وقتل من جراء هذه الفتنة خلق كثير من الفريقين(١٨١).

ومن الفتن ما حصل من بعض خلفاء بني العباس من امتحان الناس وإجبارهم على القول بخلق القرآن، وكانت النتيجة القتل والتعذيب والسجن لمن لم يمتثل، حتى مُنع الإمام أحمد من التحديث وقتها، ولما كتب المعتصم في أصبغ بن الفرج المصري ليحمل إليه في محنة خلق القرآن، هرب رحمه الله واختفى بحلوان.(١٨٢)

---

(١٧٩) السير (٥٧/٦).

(١٨٠)بَاخَمْرَا بالراء: موضع بين الكوفة وواسط وهي إلى الكوفة أقرب ، بينها وبين الكوفة سبعة عشر فرسخا، بها كانت الوقعة بين أصحاب أبي جعفر المنصور وإبراهيم بن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقتل إبراهيم بها ، ينظر :معجم البلدان (٣١٦/١).

(١٨١) ينظر في هذا المعرفة والتاريخ (١٢٥/١)، والبداية والنهاية (٣٧٧/١٣)، وتاريخ الإسلام (٧٩٤/٣)، والسير (٣٧٠/٦) ومن غرائب الفرار والتخفي وقت الفتن ماوقع في الأندلس بين الأمير الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل الأموي ت(٢٠٦)، ويحي بن يحي الليثي –راوي الموطأ عن مالك –وطالوت بن عبد الجبار المعافري الأندلسي وقد حج، ولقي مالك بن أنس ينظر ترتيب المدارك (٣٤٠/٣)، والسير (٢٥٥/٨-٢٦٠)، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للتلمساني (٦٣٩/٢)،وينظر قصة أخرى مع سفيان الثوري، السير (٢٥٧/٧).

(١٨٢) وفي ذلك يقول الشاعر:

وَطَويتَ أصبغَ حقبةً في بيته... فسترته جُدرُ البيوتِ السُّتَّرِ

وقد أمر النبي عليه الصلاة والسلام بالاستعاذة من الفتن ما ظهر منها وما بطن(١٨٣).

المبحث السابع: عدم السماع لأسباب اجتماعية :

كأن يكون المحدث رجلًا،والطالبة امرأة، ويصعب حضورها مجالس التحديث كما يصعب تخصيصها بالتحديث، لذا تجد الراويات من النساء قلة، ومروياتهن أيضًا قليلة إلا من كان لها اختصاص وشأن كزوجات النبي صلى الله عليه وسلم،ومن المكثرات نسبيًا التابعية أم الدرداء الصغرى وسبب ذلك: أنها كانت يتيمة في حجر أبي الدرداء تذهب معه في برنس تصلي في صفوف الرجال، وتجلس في حلق القراء تَعلَّم القرآن حتى قال أبو الدرداء يومًا:"الحقي بصفوف النساء(١٨٤) "كما أن من شيوخها: زوجها، وعائشة رضي الله عنهما.

والعكس كذلك بأن تكون المرأة هي المحدثة فهذا مجاهد بن جبر جاء إلى باب عائشة رضي الله عنها فحجبت ولم يدخل عليها لأنه كان حرًا، وأروى الناس عنها ثلاثة :امرأة وهي عمرة بنت عبدالرحمن، واثنان من محارمها هما:القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم،قال قبيصة بن ذؤيب :"كان عروة يغلبنا بدخوله على عائشة (١٨٥)".

وابن جريج لم يسمع من صفية بنت شيبة بن أبي طلحة(١٨٦)، وهشام بن عروة كان ينكر على محمد بن إسحاق سماعه من زوجته فاطمة بنت المنذر وكان يقول :"كيف يدخل ابن إسحاق على امراتي (١٨٧)"؟ ولذا حين تقرأ في تراجم النساء تجد الكثير من الرواة عنهن من محارمهن أو نساء مثلهن.

أبدلنَه برجـــــالِه وجموعِه... خَوفًا مُقاعَدةَ النســاءِ الخُدّرِ

فإذا أراد مع الظلام لحاجةٍ ... أخذ النقابَ وفضلَ مِرطِ المِعجَرِ

فما طوى خدر البلى من مثله... فكأنه مُتـــــغيبٌ لم يُقـــبر

ينظر :ترتيب المدارك (٢٢/٤)، وإكمال تهذيب الكمال(٢٥١/٢) ،وينظر : السير (١٤٤/٨).

(١٨٣) صحيح مسلم (٢٨٦٧).

(١٨٤) السير (٢٧٨/٤).

(١٨٥)السير (٥ /٥٦)

(١٨٦)السير (٣ /٥٠٨)

(١٨٧) التهذيب (٤٢/٩) ،والصحيح ثبوت السماع ، لكن القصد من المثال صعوبة التواصل .

ومن الأسباب الاجتماعية: التفاوت الاجتماعي، فبعض الولاة والأمراء يكون عنده رواية وغالب الرواة عنه من الخواص؛ إذ لا يتهيأ حضور العامة، والعكس فلا يتيسر حضور الخليفة مجالس التحديث العامة، وكذا الحال مع الكبراء والوزراء ونحوه، ولما قال المأمون لوزيره يحي بن أكثم:"أريد أن أحدث؟ قال: ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين؟ فقال:ضعوا لي منبرًا، ثم صعد وحدث بنحو ثلاثين حديثًا، ثم نزل فقال لوزيره: كيف رأيت يا يحي مجلسنا؟ فقلت:أجلّ مجلس يفقه الخاصة والعامة قال:ما رأيت لكم حلاوة، وإنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر(١٨٨)" ومرة أخرى قال لقاضيه عمر بن حبيب العدوي:"ما طلبتْ مني نفسي شيئا إلا وقد نالته ما خلا هذا الحديث فإني كنت أحب أن أقعد على كرسي ويقال لي مَن حدثك؟فأقول حدثني فلان، فقلت يا أمير المؤمنين فلم لا تحدث ؟قال:لا يصلح الملك والخلافة مع الحديث للناس(١٨٩)"

والخليفة المقتفي لأمر الله العباسي كان قد سمع جزء ابن عرفة من أبي القاسم بن بيان، فأراد السمعاني الرواية عنه قال:"كتبت إليه أسأله الإنعام بالإذن في السماع منه، فأنعم،وفتش على الجزء، ونفذه إليّ على يد إمامه ابن الجواليقي، فسمعته من ابن الجواليقي عنه (١٩٠)"

المبحث الثامن: عدم السماع لأسباب شخصية :

أحيانًا تكون هناك مواقف بين الراويين تعكر الأجواء وربما تجر إلى الحسد والعداوة، وسببها التنافس أو المواقف الشخصية؛ وطبيعة النفس البشرية وما يعتريها من أعراض وأغراض قد تستجيب لهذا الداعي، كما هو معلوم حين الكلام عن جرح الأقران، فالمحدثون ليسوا بدعا من البشر، وإن كانوا يجاهدون أنفسهم على طي العداوات وردم المناوشات، لكن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فهذه الأسباب تجعل القرين لا يروي عن قرينه، وإن كان هذا ظاهرًا لكونهما قرينين، لكن قد تمتد هذه الأسباب لغيرهما، فمثلًا إسماعيل وعبدالحميد ابنا أبي أويس مع حرصهما على الطلب حتى قال لهما خالهما الإمام مالك :" أراكما تحبان هذا الشأن، وتطلبانه -يعني الحديث-

(١٨٨)السير (٢٧٥/١٠)، وفوات الوفيات (٢٣٦/٢).

(١٨٩)أدب الإملاء والاستملاء (ص: ٢١).

(١٩٠) السير (٣٩٩/٢٠).

قالا: نعم قال: إن أحببتما أن تنتفعا وينفع الله بكما، فأقلا منه، وتفقها [١٩١]"ومع ذلك لا تعرف لهما رواية عن محمد بن إسحاق صاحب المغازي مع أنه معهما في المدينة ومن طبقة شيوخهما، ولعل سبب ذلك ما كان بينه وبين خالهما مالك بن أنس من منافسة ومنافرة، أو يكون السبب استغناؤهما عنه بخالهما.

ومن ذلك قال أبونعيم الفضل بن دكين:"أتيت بُريد بن عبد الله (بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري)وعنده أبو أسامة (حماد بن أسامة)، فقال: لا تحدثه، فسألته عن حديث؟ فقال: أيما أحب إليك أحدثك بإسناده أو أحدثك بمتنه؟ قال: فقمت ولم أرده، قال أبو نعيم: كان-أي حماد- يحسدنا[١٩٢]"

وكان أحمد بن صالح المصري قد سمع أحاديث ابن وهب، وكان سماعه في كتاب حرملة بن يحي قال ابن عدي:"فأعطاه نصف سماعه ومنعه النصف، فتولد بينهما العداوة من هذا، فكان من يبدأ إذا دخل مصر بحرملة لا يحدثه أحمد بن صالح، وما رأينا أحدا جمع بينهما فكتب عنهما جميعا،ورأينا أن من عنده حرملة ليس عنده أحمد، ومن عنده أحمد ليس عنده حرملة، على أن حرملة قد مات سنة أربع وأربعين ومات أحمد بن صالح سنة ثمان وأربعين[١٩٣]" قال ابن سلم :" أتيت أحمد بن صالح فلم يحدثني، وذلك أني بدأت بحرملة،ومن بدأ بحرملة لم يحدثه أحمد، فحملت كتاب يونس بن يزيد وكنت كتبته عن حرملة لأرضيه بذلك، فخرقته بين يديه وليتني لم أخرقه، لأنه لم يحدثني [١٩٤]"

وخلف بن هشام المقرئ قدم الكوفة، وكان عمره تسع عشرة سنة، فكَلّم سُليم بن عيسى القارئ أن يكتب إلى أبي بكر بن عياش كي يُقرِأه قال خلف:" فدعا سليم ابنه، وكتب معه إلى أبي بكر، لم أدر ما كتب، فأتينا منزل أبي بكر، فلما قرأ الورقة، قال: أدخِل الرجل، فدخلت، وسلمت، فصعد فيّ النظر، ثم قال: أنت خلف؟قلت: نعم، قال: أنت لم تخلف ببغداد أحدا أقرأ منك؟ فسكت، فقال لي: اقعد، هات اقرأ، قلت:أعليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلا من حملة القرآن،ثم خرجت، فوجه إلى سُليم يسأله أن يردني، فأبيت، ثم

(١٩١) المحدث الفاصل (٢٤١).
(١٩٢) سؤالات الآجري (٣٣٠/١).
(١٩٣) الكامل (٢٣٧/٤).
(١٩٤) الكامل (٢٣٠/٤).

إني ندمت، واحتجت، فكتبت قراءة عاصم، عن يحي بن آدم، عن أبي بكر(١٩٥)"

المبحث التاسع: عدم السماع لأسباب خاصة:

هناك أسباب أخرى يصعب تصنيفها ضمن ما سبق، وقد تكون في حكم النادر؛ ومن ذلك :

قال الحسن الحلواني: "قلت لعفان- بن مسلم البصري-: كيف لم تكتب عن عكرمة بن عمار-اليمامي-؟ قال:كنت قد ألححت في طلب الحديث، فأضر ذلك بي، فحلفت لا أكتب الحديث ثلاثة أيام، فقدم عكرمة في تلك الثلاثة الأيام، فحدث، ثم خرج (١٩٦)"

كما أن هناك لقاءات أخرى بين المحدثين قد يحتار معها الباحث في سبب عدم السماع بينهما مع إمكانه وتوفر أسبابه، فهذا الأعمش كتب العلم بالكوفة، قبل موت عبد الله بن أبي أوفى بأعوام،وهو معه ببلده ولايعرف له سماع منه(١٩٧)،وابن جريج المكي لازم عطاء بن أبي رباح سبعة عشرة سنة قال الذهبي :" من يلزم عطاء هذا كله، يغلب على الظن أنه قد رأى أبا الطفيل الكناني بمكة، لكن لم نسمع بذلك، ولا رأينا له حرفا عن صحابي(١٩٨)" وكذا عدم سماع ابن معين من عبد الله بن داود الخريبي مع أن أقرانه سمعوا منه كابن المديني والفلاس بل قال عنه ابن معين:"ثقة، مأمون، صدوق" ومع ذلك قال يحي :"لم آت قط عبد الله بن داود، ولم أجلس إليه، كنت أراه في الجامع(١٩٩)" وأحمد بن الأزهر النيسابوري حج ورأى سفيان بن عيينة ولم يسمع منه، قال ابن عساكر :"رأى سفيان بن عيينة،وما أدري لم لَمْ يسمع منه(٢٠٠)"

---

(١٩٥)السير (١٠/٥٧٩)، وينظر (١٢/١٤٨).

(١٩٦)السير (١٠/٢٥١).

(١٩٧)السير (٦/ ٢٤٢)

(١٩٨)السير (٦/ ٣٢٧).

(١٩٩)السير (٩/٣٤٨).

(٢٠٠) تاريخ دمشق (٧١/٣١)، وتاريخ الإسلام (٦/٢٥٨).

ثم أما بعد فالبحث في ذكر جملة من الأسباب التي تجعل الرواية بين المتعاصِرَين بل المتلاقِيَين منقطعة، وبهذا يتبين عناية المحدثين بقضية السماع وشدة فحصهم وتنقيرهم ،وأنهم إذا أجمعوا على شئ فإنه يجب التسليم والقبول لأحكامهم ، وكذا إذا حكم بذلك أفرادهم فينبغي التسليم وعدم مخالفة حكمه إلا إذا لاح للباحث دليل صحيح ، فالبعض قد يجره التجويز العقلي إلى مخالفة أحكام النقاد ، وهذا مسلك خاطئ ، فأولئك القوم وقفوا على السماعات وحرروا الروايات و ربما شافهوا الرواة ،وهذا ما لا تتوفر أدواته عند المتأخر ، لذا قال أبو حاتم الرازي :" لم أختلف أنا وأبو زرعة وجماعة من أصحابنا أن الزهري لم يسمع من أبان بن عثمان شيئاً وكيف سمع من أبان وهو يقول بلغني عن أبان؟..ثم قال: الزهري لم يسمع من أبان بن عثمان شيئًا، لا لأنه لم يدركه، قد أدركه وأدرك من هو أكبر منه، ولكن لا يثبت له السماع منه، كما أن حبيب بن أبي ثابت لا يثبت له السماع من عروة بن الزبير، وهو قد سمع ممن هو أكبر منه غير أن أهل الحديث قد اتفقوا على ذلك، واتفاق أهل الحديث على شيء يكون حجة "(٢٠١)

الخاتمة:

وبعد، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي نهاية البحث أشير إلى أهم النتائج في نقاط:

- السماع شرط من شروط قبول الحديث، لذا ألف العلماء في المراسيل لبيان اختلال هذا الشرط، إلا أن الملاحظ أن هذه الكتب اهتمت بالنتائج – وهي الأهم- ولم تذكر الأسباب لعدم السماع.
- معرفة الأسباب المتعددة لعدم السماع بين الراويين مع إمكانه تعين على تفهم شدة تنقير المحدثين عن السماع بين الرواة .
- تيسر للنقاد في زمن الرواية الاطلاع على أسباب عدم السماع مع إمكانه بما لا يمكن لمن بعدهم الاطلاع عليه مما يوجب قبول أحكامهم في هذا الباب .
- الأسباب التي تجعل الرواية بين المتعاصرين بل المتلاقيين منقطعة كثيرة؛ منها ما يرجع إلى طبيعة

(٢٠١) المراسيل (١٩٢).

الرواية خاصة في القرن الأول، ومنها ما يرجع إلى طبيعة الشيخ وطريقته في أداء حديثه للطلاب، ومنها ما يرجع إلى طبيعة التلميذ وكيفية تحمله الحديث عن شيوخه، ومنها ما يتعلق بوقت السماع والإسماع، ومنها الأمور والأحوال السياسية، والاجتماعية، والشخصية، وغيرها.

- تبين من خلال الأمثلة الكثيرة لكل سبب من الأسباب أن التجويز العقلي في إثبات السماع بين المتعاصرين أو المتلاقيين، وإن كان جائزًا وممكنًا إلا أنه ليس دائمًا، ذلك أن البعض ربما أوصل هذا التجويز العقلي إلى الوجوب واليقين، بل الأصل عدم السماع حتى يدل عليه الدليل ، وكلام أبي حاتم السابق في آخر البحث شاهد على ذلك .

التوصيات:

- لا يخفى أن الانقطاع ليس على درجة واحدة، ومما يمكن أن يكمل به هذا البحث النظر في المراسيل التي لها حكم الاتصال، فهناك سلاسل إسنادية منقطعة إلا أن الواسطة تكاد تكون معلومة إما وصفًا وإما شخصًا كما قيل في رواية سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، ورواية أبي عبيدة بن عبدالله بن مسعود عن أبيه، ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، رضي الله عنهم، وقبل ذلك مرسلات كبار التابعين عن النبي صلى الله عليه وسلم، لذا ذكر ابن جرير الطبري وغيره:" أن إطلاق القول بأن المرسل ليس بحجة من غير تفصيل؛ بدعة حدثت بعد المائتين [٢٠٢]".

(٢٠٢) شرح العلل (١/٥٤٤).

قائمة المصادر والمراجع

١- **أجوبة أبي زرعة الرازي على سؤالات البرذعي**:لأبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم،تحقيق: د. سعدي الهاشمي،عمادة البحث العلمي في الجامعه الإسلامية، الطبعة الأولى،١٤٠٢هـ

٢- **أدب الإملاء والاستملاء**:لعبد الكريم بن محمد السمعاني المروزي،تحقيق: ماكس فايسفايلر،دار الكتب العلمية،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ

٣- **إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال**:لمغلطاي بن قليج، تحقيق: عادل بن محمد وأسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة ، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ

٤- **تاريخ ابن معين رواية الدوري**: تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف،مركز البحث العلمي،مكة المكرمة،الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ

٥- **التاريخ الأوسط**:للبخاري محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي ،القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ

٦- **التاريخ الكبير**:للبخاري محمد بن إسماعيل، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن.

٧- **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي، تحقيق:الدكتور بشار معروف، دار الغرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ

٨- **تاريخ دمشق**:لابن عساكر علي بن الحسن،تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر للطباعة ، ١٤١٥هـ

٩- **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**:لابن جماعة بدر الدين ابن أبي الفضل، تحقيق: محمد هاشم الندوي، دائرة المعارف، وصورته دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٥٤هـ

١٠- **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**:للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: ابن تاويت الطنجي – عبد القادر الصحراوي، ١٩٦٥م – ١٩٦٦م

١١- **التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل**:للمعلمي عبد الرحمن بن يحيى، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ

١٢- **تهذيب التهذيب**:لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

١٣- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**:للمزي يوسف بن عبد الرحمن، تحقيق: د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ

١٤- **جامع بيان العلم وفضله**،لأبي عمر بن عبد البر ، تحقيق: مسعد السعدني، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢١هـ

١٥- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**:للخطيب البغدادي أحمد بن علي، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

١٦- **الجرح والتعديل**:لابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، الطبعة الأولى، ١٢٧١هـ

١٧- **الرحلة في طلب الحديث**:للخطيب البغدادي أحمد بن علي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ

١٨- **سؤالات أبي داود للإمام أحمد**: لأبي داود السجستاني ، تحقيق: د. زياد محمد منصور، مكتبة العلوم والحكم، المدينة ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ

١٩- **سؤالات الحاكم للدارقطني**:لأبي عبد الله الحاكم ، تحقيق: د. موفق بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ

٢٠- **سير أعلام النبلاء**:لأبي عبد الله شمس الدين الذهبي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ

٢١- **شرح علل الترمذي**: لابن رجب الحنبلي، تحقيق: همام سعيد، مكتبة المنار، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ

٢٢- **الطبقات الكبرى**: لمحمد بن سعد بن منيع، دار صادر، بيروت.

٢٣- **العلل الكبير**: للترمذي ، تحقيق: صبحي السامرائي ، عالم الكتب ،بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ

٢٤- **العلل الواردة في الأحاديث النبوية**: للدارقطني أبي الحسن علي بن عمر، تحقيق: محفوظ الرحمن السلفي – محمد بن صالح الدباسي، دار طيبة – الرياض، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ

٢٥- **العلل**:لابن أبي حاتم ، تحقيق: جمع بإشراف سعد الحميد، خالد الجريسي، مطابع الحميضي، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ

٢٦- **العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد رواية ابنه عبدالله**: تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني, الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ

٢٧- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: لابن حجر العسقلاني، رقم كتبه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ

٢٨- **فتح المغيث بشرح الفية الحديث**: للسخاوي محمد بن عبد الرحمن، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ

٢٩- **الكامل في ضعفاء الرجال**: لابن عدي الجرجاني، تحقيق: عبدالفتاح أبوسنة، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٩هـ

٣٠- **الكفاية في علم الرواية**: للخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي، تحقيق: أبي عبد الله السورقي – إبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة

٣١- **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**:للرامهرمزي الحسن بن عبد الرحمن، تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ

٣٢- **المراسيل**: لأبي داود السجستاني ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ

٣٣- **المعرفة والتاريخ**: للفسوي يعقوب بن سفيان، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ

٣٤- **المكتبة الشاملة**: برنامج حاسوبي خيري